أبناء العاصي

الكتاب: أبناء العاصي
المؤلف: عبد الرحمن دياب
تصميم الغلاف: عاشور عطا
تدقيق لغوي: إسلام مجاهد
رقم الإيداع: 2019/27405
الترقيم الدولي: 978-977-778-204-3

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

عبد الرحمن دياب

أبناء العاصي

رواية

نون للنشر والتوزيع

إهداء...

إلى كل من ساندني لتحقيق حلمي..

وكل من رفض.

اختفاء

على الرغم من أن الساعة قاربت الثانية صباحًا، إلا أن الأصوات الأطفال الثلاثة الذين يلعبون أمام بيوت الكفر المبنية من الخشب، والجريد لم تتوقف، أو تخفت، فكيف يهدؤون، ويوم غد هو عيد الأضحى المبارك.

الكبار ينتظرونه في شوق ليمحي عنهم إجهاد عام مر بدون إجازات طويلة، لينالون راحة تستمر أيام. أمَّا الأطفال فيتشوقون له؛ لأنَّه فرصة للمرح، والنوم عقب الصلاة صباحًا في مكان لا يعرف السهر.

استمرت الحياة بضجيجها لدقائق، وسط ضحكات، وأغاني تعلو من آن إلى آخر؛ لتكشف عن فرحتهم بالضيف الكبير، ليهدأ الضجيج فجأة، ويصمت الأطفال الذين لا يوجد سواهم في الكفر، وتتوقف ضربات الدومينو على الأخشاب المتهالكة المصنوعة من جذوع الأشجار على ما يبدو؛ لينظر الجميع إلى حدود الكفر حيث الظلام الجاثم أمامهم، ينظرون إلى غابة تعالت أشجارها، وتحيط بهم من هذه الجهة.

هناك صوت يأتي من هناك، لا يعرفون مصدره، لكنه يبدو كترنيمة مقبضة، أو كلمات مُنغمة... هو لحن يتصاعد بشكل مخيف بكلمات غير واضحة لكن تقشعر لها الأبدان!

عم الصمت ضيفًا، وشخصت الأبصار ناظرةً إلى حيث الصوت الغريب، وكأن

عيون العشرات المستيقظين الآن تحاول اختراقها؛ لترى ما خلفها علهم يحصلون على إجابة تروي ظمأ فضولهم المتزايد. هم يعلمون جيدًا أن خلف تلك الأشجار الطويلة تقبع المقابر، وما يزيد من تسارع نبضات قلوبهم الواجفة أنهم يعلمون أيضًا ماذا تعني هذه الألحان!

تبادل الكبار النظرات، ووقفوا أمام البيوت، وخارج ما يشبه المقهى الوحيد في المكان، بينما جري الأطفال إلى بيوتهم مختبئين في أحضان أمهاتهم من مجهول قادم؛ ليقاطع أفكارهم جميعًا صوت صراخ الشاب وائل ابن عبدالفتاح الحانوتي، وهو يصرخ.

نظروا إليه، وهو يتعلق بجزعه النحيل على النخلة الأقرب من الغابة، ويشير بيده في ذعر، وهو يعلو بصوته حتى يخيل لهم أن حنجرته ستسيل دمًا بسبب جهده. صرخ فيه أحد الموجودين أن يتكلم، فتكلم وليته ما فعل!

تكلم فانتفضت الأجسام خوفًا، وذعرًا، وتسارعت ضربات القلب أكثر، فأكثر، وكأنها تريد الهرب راكضة من المكان.

تكلم فأزاح المعقول جانبًا ليسود الجنون، ليس أي جنون بل جنون لا يصدقه عقل، أو دين! ليدور في عقولهم سؤال واحد لا يعلمون إجابته... منذ متى يعود الأموات؟!!

قال جملته ورددها، وهو ينزل سريعًا كالمجنون، ويجري إلى داخل الكفر؛ لتحذير الجميع.

يجري، يصرخ، ينادي، يحذر، يتعركل في صخرة صغيرة، فيتقلب على الأرض ثم ينهض، ويزيد من ركضه، لكن هذه المرة الجميع خلفه يركضون، وكأن أصابهم جنون جماعي زاده الموسيقى خلفهم، وهي تتصاعد، وكأنها تلاحقهم.

الصراخ أصبح واحدًا، وليس من حنجرة ابن عبدالفتاح فقط.

وكأن صوت أهالي الكفر يشق عنان السماء في استغاثة، أو ربما تعجب!

جملة واحدة رددها الجميع وسط صرخات النساء، ونواحهم، وركض الرجال بخوفهم...

أبناء العاصي قادمون!

***

لم تمر ساعات قليلة حتى دخلت سيارة فورد ذات دفع رباعي الكفر محاولةً بمهارة تخطي الصخور، والمرور من ممر ضيق بالكاد يكفي لها كان بجانب الجبل.

ومع توقف السيارة نزل رجل ممشوق القوام بشعر ناعم متوسط الطول، ونظارة شمسية كبيرة تغطي عيناه، وذقن حليقة.

بثقة حل على الأرض، وفي يده اليسرى سيجارة ينفث دخانها، وهو ينظر حوله مستطلعًا المكان.

الوضع هادئ، وهذا أثار حنقه؛ لأنه جاء من منزله رغم إنه إجازة بناء على اتصال من اللواء شعراوي مدير أمن المنطقة الذي طلبه قبل ساعتين، وأعطى له عنوان المكان، وهو يحدثه بحسم.

قال له إن أحد أقاربه يسكن في هذا المكان المسمى بالكفر، وأتصل به بعد منتصف الليل، وهو يصرخ مستغيثًا؛ لأن هناك لصوص، وقتلة يهاجمونهم!

بالطبع لم يرفض الرائد حسام هذه المهمة فالترقية اقتربت، وهو يريد أن يجعل اللواء شعرواي فخورًا به، ولكن الغريب أنه لا أحد من القسم أتى بعد رغم أن اللواء قال له إنه سيتصل بالقسم لإرسال قوة إلى المكان!

ما يزيد الأمر غرابة بالنسبة له أنَّه لم يكن يعلم بالأساس أن هناك منطقة في هذا الجهة. هل هذا الكفر به رحالة اتخذوا من المكان ملجأ لهم، أم أهالي أعجبهم

المكان فمكثوا فيه قبل سنوات حتى أصبح موطنهم؟، لا يعلم، ولكنه سيزيح الغموض، ويتحدث مع الأهالي ليعرف سر المكان.

ولأنه ضابط يستحق الترقية المقبلة، استطلع أولًا المكان، فهو يعلم بحسب الخرائط أن الكَفْر حوله سلسلة جبال تحيط به من 3 جهات، أمَّا مقابلة، فيوجد غابة تمتد لكيلومترات لا تقدر على دخولها سيارات، أو يمشيها إنسان؛ لأنها كبيرة، وقد يتوه فيها أي شخص.

أي أن المكان المسمى بالكَفْر عبارة عن سجن جبلي، وغابة بأشجار ضخمة فقط.

لفت نظره أن المكان هادئ بشكل يثير الاستغراب، هادئ بمعنى أنه لا يوجد بشر، أو حتى حيوانات، وكأن الجميع اختفى!

تبخر!

نادى بصوت عالي في المكان فلم يجد ردًا، ليُخرج مسدسه المعلق خلف ظهره بالجراب، ويطرق باب أول بيت قابله فلم يجد ردًا، ليدفعه بقدمه بقوة، ويقتحم المكان شاهرًا سلاحه.

لا شيء!

لا يوجد أي بشر، أو كائنات لكن الأثاث موجود، وهو ليس أثاث بمعنى الكلمة بل أسرة خشبية مصنوعة من خشب الأشجار، وطاولات طعام، وكأن هذا المكان لم يصل إليه التحضر منذ نشأته!

خرج سريعًا ثم دخل بعض المنازل بشكل عشوائي، نفس النتيجة، بيوت فارغة، وأرض ترابية، ولا شيء يدل على حياة، أو موت.

لديه ردود فعل غريبة بعض الشيء؛ لأنه جلس قرفصاء على الأرض دون أن

يبالي بملابسه التي سيلوثها التراب، وأخرج سيجارة أخرى، وهو يتلفت حوله، ويبدو أنَّه يفكر بشكل عميق، وهي عادة تعود عليها منذ سنوات عمله في الشرطة، تعود أن يجلس، ويفكر وسط دخان سيجارته، عسى أن يجد إجابة مقنعة تثب إلى عقله.

ربما يتوهم، ولم يتصل به اللواء شعراوي بالأساس، وانطبع المكان ربما في عقله الباطن ليأتي إليه.

أخرج هاتفه ليجد أن اللواء اتصل به بالفعل أي أنَّها ليست خدعة من عقله، بغض النظر أنَّه لا توجد شبكة اتصالات في المكان.

كما أن الكَفْر موجود، والمنازل موجودة، والرجل الذي استغاث باللواء بالتأكيد كذلك.

ولكن أين هو؟ وأين الأهالي؟ هل ماتوا؟!

البيوت مهجورة، وبرأيه لا يمكن أن يعيش فيها أحد فهي لا تناسب حياة آدمية، بل حياة زهد للرفاهيات، حتى أنه لا يوجد بيت واحد مبني بالطوب، أو به تكييف، أو بنية تحتية من كهرباء، أو مواسير مياه، فكيف كانوا يعيشون؟!

يشعر أن هناك شيء غامض في الأمر لا علاقة له بلصوص، أو قتلة كما قال اللواء، فالأرض رملية، وطينية، ولا أثر عليها لسيارات سوى سيارته التي دخل بها فكيف دخل اللصوص، أو القتلة إلى الكَفْر؟!

استمر في التفكير، هل دخلوا من الغابة؟! ولكن أي لصوص يسيرون كل هذه المسافة لدخول كَفْر، وسرقته، وأيضًا هذا لا يبرر اختفاء الناس، فلو تم قتلهم لكان هناك دمًا في مكان ما، ولو اختطفوا، فبالتأكيد كان سيرى آثار سيارات، أو علامات تشير إلى ذلك!

نظر باتجاه الغابات، وهو ينهض، ويذهب إليها، وداخله تساؤلات يتمنى أن يجد إجابتها سريعًا؛ كي لا يضيع عليه يوم العيد.

الأرض رملية طينية، ولكنَّها أقرب إلى رمال الصحراء الناعمة، وهناك بعض النخيل، والأشجار وسط البيوت الخشبية المتراصة...

عدل من وضع نظارته الشمسية؛ ليتفادى شمس الصباح التي تحمل بعض اللفحات الحارة، واستمر في التقدم حتى وصل بعد دقائق إلى صف من أشجار الكافور العالية، يبدو أن هذا الصف يفصل بين الغابة، وشيء ما لا تظهر ملامحه جيدًا.

اقترب أكثر، وهو يضع في رأسه احتمالات لما حدث، حتى وصل، وتخطى الجذوع الضخمة التي نمت وسطها بعض الحشائش الطويلة حجبت الرؤية عن ما خلف الصف؛ ليدفعها بيده، وهو يمر منها، ويتوقف فجأة مصدومًا!

***

البداية

لم تكن الحياة في القرية مثيرة كما قد يتخيل البعض، فهي مزيج بين رعي الأغنام، والزراعة، خاصةً، وأن المنطقة بعيدة تمامًا عن أي أحداث سياسية محلية كانت، أو عالمية.

كان وضع أهالي قرية أبو العوف ليس الأفضل، ولكنه خاليًا من المشكلات، ولكن دوام الحال من المُحال كما يقولون؛ لأنَّ طه محجوب ظهر!

ابن خديجة المعروفة بطريقها الملتوي، وسمعتها السيئة في القرية، العشريني الوسيم القادم من القاهرة بعد سنوات من البعاد، والذي يقسم أهل القرية أنَّه ليس ابن "محجوب"، ولكنه جاء من الحرام.

حلَّ على القرية، وعلامات استفهام عديدة تدور حوله، لماذا يرتدي دائمًا الأسود؟، وباع بيت أبيه بعد أن ماتت أمه، واشترى ذلك المنزل على حدود القرية... ولماذا لا يراه الأهالي في الجامع الوحيد الذي يتوسط المكان، وكأنه ليس بمسلم مثلهم!

وكان التعجب الأكبر هو لماذا انتشرت الحوادث الغريبة منذ أن جاء؟!

البداية كانت بسيد ابن صالح ذو الستة سنوات، والضحكة التي تخلب

القلوب... كيف اختفى لا يعلمون، ولكن صديقه محروس أكد، وهو يبكي لأمه المكلومة أنَّه شاهده أخر مرة ذاهبًا إلى حدود القرية عند شجرة التوت لقطف الثمار، وناداه، ولكن لم يلبي، جرى نحوه فلم يلتفت صديقه فأعتقد أنه تجاهله فعاد إلى المنزل حزينًا حتى علم أنه لن يراه ثانيةً.

إلى هنا الحدث يكاد يكون طبيعيًا، ولكن منذ متى يختفي الأطفال، وتظهر جثتهم بدون رأس!

هذا ما وجوده مع سيد... فقط جثة ملقاة وسط المزارع بدون رأس، وكأنه كان مقصودًا بالقتل، وبشكل يحمل حقدًا، وغلًا. الصدمة كانت كبيرة على الجميع، وخاصةً والدته التي كانت لا تحمل حتى منحها الله تعالى هذا الطفل؛ لينير حياتها، ويطرب قلبها.

الاتهام لم يكن لشخص محدد، ولكن طه هو الغريب الآن، وتشير إليه أصابع الجميع دون دليل، ولكن ماذا عن أبو المعارف شريد القرية الذي وجدوه هو الآخر مقتولًا، ومنزوع الرأس؟

أبو المعارف يدور طوال اليوم في القرية، ويسخر من الجميع، له لسان يتخطى طوله عنق الزرافة، ولكنه رغم ذلك محبوب، ويراه الكثيرين "بركة القرية"، وفي اليوم المشؤوم كان آذان العشاء قد انتهى، ويستعد للعودة إلى الزريبة التي يعيش فيها تفضلًا من أحد كبار القرية، ويلقي بكلماته الساخرة على الجميع حتى قابل في وجهه طه!

يعترف الجميع أن القادم من القاهرة كان يسير في حاله، وينظر إلى الأرض، وكأنَّه يُحصي رمالها، لا يعلمون إن كان سارحًا، أو متعمدًا حتى لا تلاقي عيناه

عيون الآخرين، وفي المقابل كان "بركة القرية" ينظر خلفه ساخرًا من طفل صغير تجره أمه إلى داخل المنزل لينام، حتى وصل الاثنان مقابل بعضهما البعض، وتجمد المشهد!

لا أحد يعلم كيف حدث هذا، ولكن الصدمة جعلت الكل يتوقف عن السير في القرية مذهولًا.

فجأة صرخ أبو المعارف، وتراجع إلى الخلف حتى أنَّه تعركل في صخرة صغيرة وضعها الأطفال للعب حولها، وسقط أرضًا صارخًا "الشيطان... ابتعد عني، لعنة الله عليك، ومن معك".

أخذ يصرخ، وتجمع حوله رجال القرية، وخرجت النساء أمام البيوت؛ لتراقب المشهد، وفي المقابل اختفى طه!

لم يعد له وجود، وكأنه كان شبحًا، نظروا حولهم باحثين عنه مرددين المعوذتين، ولم يجدوا أي دلالة على وجوده، كيف اختفى فجأة لا يعلمون، ولماذا صرخ أبو المعارف بهذا الشكل لا يعرفون؟ لكن انقباضة قوية أصابت قلوب الجميع، وكأنهم كانوا في حضرة الشيطان بالفعل، الأمر كان أشبه بخوف غير محسوس، وذعر أصاب الجميع جعلهم ينهضوا بأبو المعارف الذي أخذ يردد، وهو يغمض عيناه "احذروا الشيطان... لا تأمنوا له... القادم من ضلع الظلام سيده... احذروا الراكع تحت أقدامهم... الباحث عن الخطايا، وناشرها" ثم أخذ يردد "احذروا... احذروا... احذروا" حتى نام بشكل غريب ليحملوه، ويذهبوا به إلى الزريبة التي ينام فيها، ووضعوه أرضًا، وأغلقوا عليه الباب عائدين إلى بيوتهم يضربون كفًا على كف.

عقب آذان الفجر استيقظت القرية بأكملها على صوت صراخ "سيدة" الخادمة لدى منزل أكبر تجار القرية، وصاحب الزريبة... لقد ذُبح أبو المعارف!

رأسه مفصولة عن جسده، ولكن لا يعلمون أين هي؟

الفاعل فصلها، وأخذها معه، أو ربما ألقاها في مكان ما.

إنها الحادثة الثانية في شهر واحد!

***

الموتى!

مع دفعه بيده للأغصان، والأشجار وجد حسام أمامه صفوف من شواهد المقابر المتناثرة كانت تنتظره!

شواهد بدائية، وكأنهم كانوا يزيحون فقط الرمال، ويضعون الموتى ثم يهيلون عليهم التراب، ويضعون الشاهد بالأسماء فقط!

دخل إلى بداية القبور ليقرأ بعض الأسماء المكتوبة بخط سيء، وأسفلها تاريخ وفاة واحد، محمد النبوي سعيد، سيدة المصيلحي، علي العناني؛ ليتنقل سريعًا ببصره، نفس العام بل نفس الشهر، الجميع دُفن في نفس الفترة، وكأنهم قتلوا في مذبحة، أو وباء، أو حادث، وهذا الحدث كان من بضعة أشهر لا تتعدى السنة!

هناك العشرات من الشواهد، وما يزيد الأمر غرابة أنَّه لم يسمع يومًا عن أي واقعة غريبة حدثت في هذه المنطقة، لقد بحث جيدًا، وهو في الطريق، ودخل على قاعدة بيانات الوزارة للمطالعة، ومعرفة إذا ما كان هناك "مطاريد"، أو رجال عصابات معروفين في محيط المكان، ولكن لم يكن هناك أي ملفات مريبة!

خلع النظارة الشمسية؛ ليعبث في عيناه بأصبعه، ويفركها ثم يعيد النظارة، وهو يُخرج سيجارة أخرى من العلبة في جيبه، ويشعلها، وهو يفكر في سر هذا المكان... كَفْر لم يسمع عنه، واختفى من فيه، وموتى غالبيتهم في يوم واحد داخل

قبور منسية... هل يرحل، ويطلب من اللواء إرسال قوات خاصة من المديرية؟، أم يحاول أن يجد إجابة... لا يعلم!

أصوات الغربان القادمة من الغابة تزعجه، لطالما كره هذا الطائر حتى، وإن كانوا يقولون عنه إنَّه سبق الإنسان على الأرض بما يقرب من 55 مليون عامًا.

حاول تجاهل نعيقهم، وهو يفكر في خطوته المقبلة.

***

عاد إلى الكفر ليبدأ تمشيط المنطقة بنفسه، دار حول البيوت، ووصل إلى بداية الجبل الصخري الضخم؛ ليسيل العرق ليغرق عيناه بالعرق المتصبب على جبته رغم ارتدائه النظارة، ولكن لا شيء، فمساحة الكَفْر ليست كبيرة كما يتخيل أحد، والبيوت لا تتعدى الـ20 أي أن أهالي المنطقة ليس عددهم بكبير، هذا هو اليقين الوحيد لديه الآن وسط ما يحدث.

مرت ربع ساعة، وهو يقف في مكانه يدخن فقط، أحس أنَّه لن يجد أي شئ، ولن يكون هناك جديد، شخص ببصره تجاه الغابة، وهو يفكر في المقابر، وما حدث في التاريخ المكتوب على الشواهد، هل كان هذا الكَفْر موجودًا، ولم يعلم عنه أحد شيء!

يعترف أنَّه في مكان بعيد عن العمران، والطرق السريعة، ولكن كيف كانوا يحصلون على طعامهم، وأين يتعلم أطفالهم خاصةً، وأنَّه لا يوجد أي سيارات في المكان!

رن هاتفه فأجفل، ها قد عادت الشبكة.

أخرجه سريعًا إنه اللواء شعرواي.

- مرحبًا سيادة اللواء... نعم حضرت، ولكن الوضع غريب.

قاطعه اللواء بجملة ما ليرد حسام:

- أترك المكان... كيف سيادة اللواء!

صمت ثم قال بنبرة منزعجة:

- كيف ذلك... معقول حادث آخر!

صمت لثوان

أين؟!

سمع عنوان المكان جيدًا ليرد:

حسن، سأكون هناك سريعًا... لا يبعد كثيرًا عن المكان هنا.

قرية أبوالعوف

أنهى الاتصال مصدومًا، كيف لا يكون كذلك، وهناك حادث آخر!

لكن هذه المرة قرية أبوالعوف، والغريب أن كل من فيها اختفى فجر اليوم أيضًا!

فكر في أن عليه التحرك سريعًا قبل أن يصل فريق تحقيق كبير قادمًا من القاهرة... بالتأكيد سيتحدث اللواء معهم في القاهرة، ويبلغهم بما حدث، ولن ينتظره أحد ليحل القضية... مما يعني أن أمامه 3 ساعات على الأقل؛ ليصل إلى حقيقة ما جرى هنا، وهناك، وإلا سيفقد فرصته في الترقية التي اقتربت.

تحرك سريعًا، وركب سيارته متجهًا إلى وجهته الجديدة. ربع ساعة تقريبًا، وكان هناك، وكما قال اللواء كانت خاوية على وفاضها، لا بشر، ولا حيوانات، وكأن لعنة ما حلت على المكان، فأفنت الأحياء فيه كما حدث في الكَفْر.

وبما أن القرية هي الأقرب إلى الكفر فبالتأكيد هناك علاقة، ورابط بين الحادثين، الواقعتان في نفس التوقيت، والفعلة واحدة، وإن كانت غريبة، ولكن من خلفها؟!

سار في القرية يتفحصها... أبواب عادية، ومنازل طبيعية تتراص بجانب بعضها البعض في نظام، وتلة رملية يراها في نهايتها، ولا يرى ما خلفه، ولكن من جانبيها يبدو واضحًا أن هناك أشجار.

فجأة سمع صوتًا خلفه فوجه مسدسه سريعًا إلى البيت بجواره؛ ليجد باب منزل يُفتح ببطء فتأهب... هل سيحصل على إجابة الآن!

يبدو أنَّه حسد نفسه؛ لأنَّه لم يجد سوى قطة خرجت بتكاسل، ونظرت حولها ثمَّ دخلت البيت ثانية!

كاد أن يضحك بصوت عال على مظهره، وهو يكاد يصرخ بعد أن شاهد القطة الكسولة، ولكنَّه تماسك، وأتجه نحو البيت؛ ليفتحه، وينادي على من في الداخل، ولكن كما توقع... لا رد.

استمر في حركته، وتفحص المكان... كل ما يريده هو نقطة يبدأ منها، خيط صغير يقوده إلى ما يحدث!

قطع أفكاره صوت صرير باب آخر لبيت يبعد عنه أمتار، ويتوسط القرية، يبدو أنَّه بيت لأحد الأثرياء؛ بسبب الكلمات المحفورة عليه، والأبهة الواضحة في جدرانه، وسوره الخارجي.

صوب سلاحه ثانية، واتخذ وضعية هجومية، وتأهب لإطلاق النار حال وجود تهديد حقيقي هذه المرة، فالصدفة لا تحدث مرتين، ليجد أمامه طفلًا صغيراً يبدو أنَّه لا يتعدى 10 أعوام!

قصير، نحيل، أصلع، بعينان واسعتان تحدقان في لا شيء... لا يرمش، أو يغمض عيناه؛ ربما بسبب الشمس المواجهة للمنزل ذو الطابقين الذي خرج منه.

طفل فتح الباب، وهو يمد يداه إلى الأمام، وكأنه يتحسس الموجودات، وسار دون هدف واضح... من الواضح أنه أعمى، بالتأكيد هو كذلك!

سار نحوه سريعًا، وهو يطلب منه الانتظار، فتوقف الطفل متعجبًا، وهو ينظر باتجاه صوت حسام.

وضع يداه على كتف الطفل المليء بالعرق؛ بسبب الطقس، ويرتدي فانلة بيضاء داخلية متسخة بعض الشيء، وسأله عن اسمه، فلم يرد سوى بهمهمة غير مفهومة! يبدو أنه يعاني من صدمة ما!

حاول طمأنته، وسأله عن والدته، أو والده، فلم يجب الطفل بل شخص بنظره إلى الأعلى، إلى السماء، ثمَّ دار ببصره في المكان، وكأنَّه يستطلعه رغم أنَّه أعمى!

زاد تعجب حسام من الطفل ليحاول تغيير الأسئلة عسى أن يجد إجابة ليقول بصوت هادئ:

- أين والدتك يا صغيري؟

لا إجابة... مجرد همهمة من الطفل فقط غير مفهومة؛ ليفكر في أنَّه أخرس ربما... أخرس وأعمى.

بدأ الطفل في البكاء فجأة فربت عليه حسام مطمأنًا، وأمسك بيده، وبدأ يتحرك به تجاه باقي القرية، إلى أن حدث شئ غريب!

توقف الصغير، وبدأ يردد لحنًا مخيفًا، لحن أقشعر له جسد الرائد، ولا يعلم السبب حتى أنه حاول ترك يد الطفل، فوجده يتمسك بها بشدة، ويستكمل دندنة اللحن.

طلب منه بهدوء التوقف فلم يرد، رفع صوته بشكل أكبر فتجاهل، فسحب يده منه بقوة، وهو ينظر له بغضب؛ ليجد الطفل ينظر له مبتسمًا بشكل شيطاني غريب ثم عادت هيئته كطفل وديع كما كانت!

لماذا فعلت هذا؟!

قالها حسام بغضب، وهو ينظر إلى الطفل ليجده يرد عليه بنظرة باردة، أو خاوية بتعبير أدق لا تحمل وعي ثم أكمل سيره وحيدًا، ونظرات الرائد تتابعه في ذهول.

الملعونة!

بعد مقتل أبو المعارف الرابط هذه المرة أصبح واضحًا، لكن كما السابق بدون دليل!

طه ابن العاهرة!

الذي حملته أمه بعد أن مات أبوه بأشهر تتعدى التسعة!

دليل الانحلال الأخلاقي واضح. من فعلها؟ لا يعلمون!

استدارت بطنها فجأة، وأخذت تصرخ، وتدعي الجنون، تدعي أنه "هو" من فعلها!

من هو؟!

سألتها نساء القرية، وفي عيونهن اتهام بالفسق، والفجور فلم ترد سوى بـ"هو" الذي أعجبته فرمى نطفته فيها لتحمل!

لولا العقلاء لقتلوها لاستغفالهم، ولولا زوجها الطيب، ووالدها المحبوب الذي كان كبيراً في العلم، والمقام لدفنوها حية جزاءً لإثمها.

حملت ثم رحلت في ليل حالك السواد اختفى فيه القمر خلف السحاب، ثم تناست القرية ما حدث لسنوات قليلة إلى أن عادت، وفي عيونها شر يراه كل ذي بصر، وبصيرة، شر خالص، وكأنها شخص آخر!

لم يتصور أحد أن خديجة التي أسموها بعد ذلك بينهم "أم الملاعين" أنها قادرة على أعمال السحر، والشعوذة والدجل، ولكن منذ أن عادت بدون ابنها الذي ترفض الحديث عنه، وهي تجلس في منزلها، ويُسمع أصوات صراخ يتصاعد من بيتها حتى اتفقت نساء القرية على دخول منزلها لكشف سرها، وما يحدث... الرجال خائفون، والنساء كذلك، ولكن العادات، والتقاليد تمنعهم من اقتحام منزل سيدة تعيش وحدها حتى، ولو كانت دجالة!

استقبلتهم بالاسم بابتسامة واسعة، وعباءة سوداء طويلة، ودعتهم إلى دخول المنزل، ولم يدري حينها ماذا حدث، ولكن بعد نصف ساعة فقط خرجت النساء يزغرطن أمام منزلها؛ لأنها "بركة"!

لا يعلم الرجال ماذا جرى في الداخل. النساء يقسمن فقط أنها "طيبة"، و"بركة" دون الحديث عن تفاصيل ما جرى، لتدور بعض الأسئلة في الأذهان هل سحرتهن؟... هددتهن؟ لكن لا إجابة، أو بوادر على ذلك؛ لأن النساء أصبحن يذهبن إليها لمشورتها، وأخذ رأيها، وهي لم تؤذي أحد منهن مما يعني أنها فعلًا "بركة"!

***

استمر الوضع لسنوات حتى أخطأت خديجة، وقعت في فخ الغرور عندما رفضت ابنة العمدة القادمة من مصر أن تنصاع لأوامرها، وفتحت النار على القرية، ووصفتهم بأنَّهم "جهلة"، ويؤمنون ساحرة!

اللعينة وصفتها بالساحرة، وجعلتها غاضبة، وخديجة إن غضبت فعلت ما لا يقدر على تحمله بشر!

بدأت الكوابيس في زيارة الشابة زينب ابنة العمدة، تستيقظ فجرًا صارخة، وتجد على جسدها خمشات، وكدمات بدون سبب، وكلما نظرت في المرآة تصرخ، وتقول إنها ترى الجحيم، تشرب المياه فتنزف دمًا من أنفها.

وهناك من يقول إنهم يرونها قرب الغابة القريبة من القرية ليلًا تصرخ، وتخمش جسدها، وكأن أحد يعذبها، وحين حاول بعضهم إحضارها اختفت!

نسج البعض أساطير حولها، وقيل إن ملك الجان تزوجها، أو عشقيته، ولكن ما أكثر التخاريف حين تنبت في تربة الجهل!

لجأ والدها إلى المشايخ؛ ليأتي بهم من القاهرة، وبعض المحافظات القريبة بل، والبعيدة فهي ابنته الوحيدة، ولن يتركها ترحل من بين يديه ببساطة، قرأوا عليها القرآن، ولكن لم تستجيب حالتها، فلم يجد العمدة بدًا من أن يطلب من خديجة أن تداويها على الرغم من أنَّه يعلم أن ابنته لا تطيقها، ولكن من يفكر في العلاقات الاجتماعية في مثل هذه الظروف!

تعجب حين وافقت (أم الملاعين) بل، وابتسمت له ووعدته بحل أزمة ابنته فلذة كبده ببساطة، وكأنَّها لم تكن، ولكن طلبت بعض المال، وأشياء أخرى سيعرفها في وقتها، فوافق على الفور فهو يريد التخلص من ألم ابنته، وحماية سمعته، ولملمة هيبته التي بدأت تضيع.

لا يدري أحد ما جرى... فجأة بدأت الفتاة تصرخ، وتعالت أصوات التكسير، والتحطيم من غرفتها... دخلت إليها خديجة وحدها، وطلبت أن لا يرافقها أحد، ليرتسم الندم على وجه الجميع، ولكن التحذير واضح!

طلبت منهم عدم الدخول مهما حدث!

الصراخ يتعالى من الداخل، ويبدو أن هناك ما هو أكثر من تحطيم الأثاث؛ لأن صوت زمجرة عالية تعالى في الداخل، ليرفع أحد الخفر سلاحه إلى الأعلى متأهبًا للدخول. نظر إلى العمدة؛ ليعطي له الآذن لكن كبيرهم نظر إلى الأرض متأملًا مفكرًا... هل يكسر قول الساحرة؟!

رفض... أشار بيده أن يتركوها وحدها معها فهي كفيلة بالشيطان الذي يتلبسها،

ولكن لم يستمر الموقف أكثر من ذلك، حيث خرجت خديجة، وعلى وجهها إمارات الغضب، والانتقام، ومن خلفها زينب تصرخ، وتصفها بالساحرة الملعونة!

لم تتحدث مع أحد، ولا العمدة، بل رفعت شالها بيدها المليئة بالحناء على هيئة أشكال غريبة، ووضعته على رأسها لتخرج مباشرة.

وكأن صراخ ابنته أعاد محركات العقل لدى العمدة لتعمل، لو لم تكن خديجة هي خلف مرض ابنته الوحيدة فمن يكون؟!

استمر الحال لثلاث أيام فقط، صراخ ليل نهار، وبكاء مستمر من زينب، حاول العمدة أن يريحها، وطلب من الكل قراءة القرآن فكانت تصرخ، وكأنها تتعذب... يومان من عدم النوم، والدمار النفسي... هل جربت يومًا الاستيقاظ ليومين متتاليين؟! حسن قد يكون البعض فعلها، ويعلم تأثيرها جيدًا، لكن هل جربت 3 أيام؟ لا أنصحك بفعل ذلك خاصةً لو كان بجانبك صراخ؛ لأنه شيء كفيل بتدمير توازنك تمامًا، وفعل أشياء غير واقعية، أو متوقعة مثلما فعل العمدة مع ابنته الوحيدة!

كانت الضربة القاضية للعمدة حين لم يتمالك نفسه، وقتلها خنقًا لتهدئ!

نعم، هو ما حدث، وإن كانت الفعلة لا تُصدق... كانت تصرخ كالعادة، وهو يضع يده على أذنيه أيضًا كالعادة، ولكنها هذه المرة كانت أكثر صخبًا... صراخ فتقطيع قطعة القماش التي كانت تربط يداها في السرير الحديدي كي لا تؤذي نفسها...

تحررت فوصل جنونها إلى الذروة، فلم تجد أمامها سوى "سيدة" التي تهتم بنظافة المنزل فلطمتها، ويبدو أن قوتها ازدات مع الجنون، فسقطت "أم صابر" كما يطلقون عليها، وخمدت حركتها... لطمة كفيلة بقتل سيدة ستينية مثلها!

بالطبع نادى على الحرس الذي دخلوا مسرعين لتكبيلها، ولكن نظرة الجنون،

وملابسها الممزقة التي كشفت جسدها جعل والدها يصرخ فيهم للخروج فورًا، ففعلوا لم يجد أمامه سوى إيشارب أسود كانت ترتديه "سيدة" قبل سقوطها فخطفه رغم سنه الذي تجاوز الخمسين بقليل، وكتف به ابنته من الخلف، وهي تصرخ وترفع ساقيها، وكأنها تريد ركله، شد عليها الإيشارب أكثر، وأكثر فلم يدري أن جسدها يهبط منه إلى الأسفل؛ ليصبح الإيشارب عند عنقها.

صدقًا لم يدري!

لو كان يعرف لتركها تقتل العالم، ولكن القدر يشاء أن تكون نهايتها على يده هو... لم يدري أنه سيزهق روحها خنقًا، وحين يستوعب ما جرى سيجد جسدها ممدًا أسفله بوجهها المزرق المليء بالعرق!

لو درى بما سيحدث لكان وضعها في مشفى نفسي، ولكنه ظن أنه سيقدر على مداواتها...

ألم لا يطاق بدأ يكتنف صدره، وطعنة نفسية غائرة نفذت من قلبه، فثقبت روحه برحيلها... جلس يبكي بجانبها وسط نظرات الحراس المذهولين الذين دخلوا بعد هدوء المكان متعجبين مما جرى.

ربت أحدهم على كتفه، فنظر إليه بغضب، ونطق جملة واحدة فقط فهمها الموجودين، وارتعشت أجسادهم منها:

- اقتلوا خديجة.

***

النهاية كانت بطعنة فقط... الأمر بسيط أليس كذلك؟!

كانت خديجة تسير متمخترة كما العادة في القرية وسط نظرات الخوف الممزوجة بالفضول لمعرفة كيف تحولت إلى هذه الشخصية؛ لتقف تشتري بعض

المتطلبات من صابون، وأرز للعودة إلى المنزل، والاحتفال بانتصارها على ابنة العمدة.

سمعت أمس أنَّها ماتت منتحرة كما يقولون، لا يعلمون أنَّها لم تفعل سوى عمل سفلي حقير جعل عقل الجميع يشتعل للتفكير في إنهائه... عمل مدفون في بيتها جعلها كما المغناطيس لكل المخلوقات التي تريد العبث مع البشر.

فكت فقط الستار الرقيق الذي يحجب عالم زينب عنهم... نزعته فقط، فأصبحوا حولها يلهون معها حتى جنت... ابتسمت، وهي تتذكر انتقامها، وتقف لتعاين البضاعة التي ستشتريها؛ لتجد شيء ساخن يشق جانبها!

مدت يدها تتحسس جانبها من أعلى العباءة السوداء... لا ترى ما هذا؟ هل هو ماء! اللون الأسود حين يمتزج بالأحمر لا يبدو ظاهرًا... رفعت يدها لترى... لون أحمر... دم!

هل تنزف؟!

جلست على الأرض الترابية الساخنة، وهي تتنهد، وتبتسم... لم تتخيل أن يكون شعور الموت بهذا الشكل، ظنت أنه مؤلم بقدر الحياة، وما فعلته خلال السنوات الماضية، أم أنَّها ستلاقي هذا العذاب في الآخرة فقط؟

لا تدري، ولكنها ستعرف الإجابة بعد ثوان؛ لأنها تكونت كصخرة على الأرض، وتساقط الزبد من شفتيها، وإنسالت الدماء من جانبها؛ لتغرق التراب أسفلها، فيما توقف الجميع ينظرون نحوها في ذهول... لم يجرؤ أحد على إنقاذها بالطبع فمظهر فمها يؤكد أن سكين الحصاد الطويل الذي طعنها كان مسمومًا حتى لا يكون هناك فرصة لنجاتها، وكأن القاتل أقسم أن لا يجازف بتركها حية!

يقول الأهالي إنَّهم أمسكوا بالفاعل، واعترف أنَّه قتلها بإيعاز من العمدة الذي

أنكر بالطبع كل شيء... ولكن من سيحزن على ساحرة ماتت! لا أحد ليتنسى الجميع القصة، ويفكرون في طفلها طه الذي يجلس في البيت منتظرًا أمه.

رق قلب البعض منهم، وقرروا الذهاب، وإحضاره؛ ليعيش في أي زَريبة بالقرية، ولكن كان أمامهم مفاجأة.

الطفل لم يكن موجودًا في المنزل!

لا أحد في المنزل، ليبقى السؤال بدون إجابة "أين ذهب"؟!

المكالمة!

لا أحد يحب الغرائب... جميعنا نتفق على ذلك، وإن كان البعض يراها مثيرة، وتزيد من الأدرينالين في الجسد، لكن إن سقطوا فيها جن جنونهم... والرائد حسام من هذه الشخصيات، يحب الأشياء الغريبة، والغموض، ولهذا السبب هو ناجح في عمله، ولكن هذه القضية بالذات مريبة، وتحمل أشياء غير منطقية تجعل جسده يرتجف من آن إلى آخر.

قاطعت أفكاره سيارة متوقفة، وأمامها رجل، وسيدة يبدو أنَّها زوجته، وطفلين، يقفون، ويتلفتون حولهم؛ ليتركهم الرجل، ويهرول مسرعًا تجاه حسام، ويسأله بلهفة "هل أنت من الشرطة"؟

هزَّ رأسه بالإيجاب، وتوقف الطفل عن السير بعد أن سمع صوتًا غريبًا يتحدث، ليزيد الرجل: وهل وجدتم أمي؟!

أجاب حسام: ومن أمك؟... بل من أنت؟

رد الرجل بسرعة، وهو يمد يده مصافحًا: المهندس محمد جمال، وزوجتي، وأبنائي... حضرنا فجرًا لزيارة أمي بعد أن تخوفت عليها من بعد آخر مكالمة جرت بيننا مساء أمس.

تعجب الرائد حسام، وهو يسأل الرجل: ماذا جرى في المكالمة؟

هَرَشَ المهندس محمد في رأسه مفكرًا، وكأنه يراجع نفسه فيما سيقول، وهل سيصفه الرائد بالجنون، ثم حسم أمره، وتحدث: من عادتنا منذ أن تزوجت أن أزور أمي في كل عيد، وأقضي معها يوم الوقفة، وأول يوم العيد ثم أعود مساءً إلى منزلنا في الجيزة لزيارة أهل زوجتي، ولكن هذه المرة اتصلت بي أمس، وطلبت مني أن لا أحضر، بالطبع تعجبت، ولكن رضخت لأمرها.

- فقط هذا ما حدث؟

- لا بالتأكيد، اتصلت ثانية لأطمئن عليها، فأغلقت الهاتف في وجهي مرتين، فقلقت، واتصلت عدة مرات بعدها لأجدها، فتحت عليَّ الهاتف لأسمع أصوات من بعيد تصرخ، وكأنَّ هناك كارثة.

جننت مما سمعت لأصرخ في الهاتف حتى ترد عليَّ، ولكن لا رد لدقائق فأغلقت، واتصلت ثانية لترد هذه المرة بصوت باكٍ، وتطلب مني، ورحمة أبي أن لا أحضر ثم توالى صوت الصراخ.

تعجب الرائد حسام ليسأله ثانية:

- صراخ فقط؟

نظر المهندس محمد في الأرض ثم رفع عيناه إليه، وقال: التقطت لفظ واحد يتكرر وسط الصراخ.

- ما هو؟

جملة "أبناء العاصي"!

سأله الرائد حسام في فضول ممزوج بالتعجب: ومن هم أبناء العاصي؟!

صمت الرجل لثوان، وكأنه يعرف الإجابة لكنَّه هزَّ رأسه، وقال:

- لا أعلم.

لم يعلق حسام، ولكن الأمر ربما به بعض التفاصيل الجديدة، فهناك اسم في الموضوع، وهو قد يقود إلى شيء ما.

سأل الرجل ثانية: وماذا فعلت بعدها؟

- تحركت مباشرة إلى هنا فلم أجد أمي، أو أي شخص نهائيًا في المكان، مجرد خواء، وفراغ يثير الرعب!

وافقه حسام على قوله، ووعده بأنَّه سيتم العمل على الأمر، وكشف ملابسات ما حدث، وسيعود الجميع بسلام في القريب العاجل.

نظر الرائد إلى الطفل، فوجده يغمض عيناه فجأة، ويسقط أرضًا، وينتفض بعنف، ويتناثر التراب حوله، وكأنَّه يلفظ أنفاسه الأخيرة، فذهب إليه ، وحمله، وأحضر المهندس محمد زجاجة مياه فرغت نصفها، وسكب بعضها على وجه الطفل، وحاول أن يجبره على الشرب منها، ولكن، وكأن الصغير في ملكوت آخر يرى، ويسمع ما لا يتخيله الآخرين!

***

يقف وحيدًا في مكان ما... قرية مظلمة بشكل كبير، وإن كانت هناك بعض المصابيح الصفراء أمام بعض البيوت المعدودة.

يقف أمامه رجل، وامرأة يسيرون إليه، وهم يرتدون ملابس قاتمة بالكامل، لكن السيدة تلبس ما يشبه عباءة بغطاء رأس يحجب وجهها تمامًا، وعلم أنَّها امرأة؛ بسبب تضاريس جسدها الواضحة.

شعر بخوف كبير للغاية؛ لأنه تعود أن لا يرى أي ألوان، أو أضواء، أو ملامح لهذا المكان، فكيف يرى هذه المشاهد بالألوان التي لا يعرف أساسًا شكلها، أو مدلولها؟!

لو كان الطفل مثقفًا قليلًا لعلم أنَّه على حق في هذه النقطة، فمن يولد أعمى لا يحلم كالآخرين، ولا يرى صورًا في الحلم، بل تعتمد أحلامه على حواسه الأخرى، كالشم، والرائحة، والطعم، فيُمكنه أن يشعر بطعم الأشياء في منامه، أو رائحتها، لكنه لا يراها مُطلقًا... مما يعني أنَّها ليست أحلام بل شيء آخر لا يعلمه!

السيدة، والرجل يسيران ببطء نحوه، وعلى وجوههم يرتسم الموت، الرجل الضخم يحمل في يده عصا أما الفتاة فتحمل سلسلة من الحديد الأسود في نهايتها خطاف.

تطوق نفسها بالسلسلة، وتؤرجح الخطاف حولها، وتستمر في المشي نحوه، حتى ظهرت بعض ملامحها.

وجهها حسن، وعيناها واسعتان، لكنَّه لا يرى أكثر من عيناها سبب ظلال غطاء الرأس.

أما العصا التي يحملها الرجل فكانت أعلاها قطعة بيضاء لا يدري ما هي، لا يدري لماذا هو ليس خائف منهم، بل، وكأنه ينتظر وصولهم!

يقف مترقبًا، وليس مذعورًا، ينتظر قدومهم، ولا يفكر في الهرب!

فجأة توقفا لتجلس الفتاة على الأرض قرفصاء، وتنزل غطاء الرأس؛ ليبدو على جبهتها وشمًا غريبًا يتقاطع فيه أشكال هندسية بشكل غريب.

هل يرونه، ولكنهم لا يعيرونه اهتمام، أم أنهم لا يرونه بالفعل!

صرخت الفتاة فجأة فاندفع التراب على الأرض من أسفلها في جميع الاتجاهات، ورُفع جسدها إلى الأعلى، وكأن قوى غريبة تحملها من وسطها؛ ليبدأ شقيقها ترديد لحن غريب ردده هو نفسه قبل قليل أمام الرائد رغم أنَّه لم يسمعه من قبل!

اللغة غريبة، ولكنه يعلم معناها.

ينادون كاتب العهد للحضور.

الكاتب!

هناك شيء خاطئ، ولكنَّه لا يدري ما هو!

تعالى صوت صراخ من خلفه؛ لينظر متعجبًا، ويجد العشرات من البشر محبوسين في قفص حديدي مغلق عليهم، وأمامهم رجل جالس على الأرض صرخ فجأة هو الأخر فسقط من في القفص صرعى، وهم يصرخون!

لم يقدر الصغير على التحمل أكثر فصرخ هو الأخر؛ ليجد نفسه في أحضان الرائد حسام، وفي فمه مياه فاترة ابتلع بعضها بسرعة، وقد جف ريقه ثم أزاح من يحمله بيده وسقط أرضًا، وهو يستكمل صراخه حتى فقد وعيه تمامًا.

***

بالطبع لم يعلم الرائد حسام ما يدور داخل عقل الطفل، فعقله هو نفسه يذوب في شيء آخر لا يدري ملابساته.

لكنه حاول تنظيم الوضع قليلًا ليطلب من مهندس محمد جمال الرحيل مع وعد بالعثور على الجميع فوافق بسهولة مما جعل حسام يتأكد أنَّه كان خائفًا، وينتظر هذا العرض؛ ليهرب حتى، ولو كانت أمه ضمن من اختفوا!

رحلت بالفعل سيارة المهندس، وأخذ يراقبها، وهي تبتعد ثم نظر في ساعته ذات الماركة العالمية.

أمامه ساعات قليلة فقط حتى يصل فريق القاهرة، وحينها سيعلم الجميع بما حدث، وسيجد وكالات الأنباء العالمية تتحدث عن مجزرة مزعومة وقعت، ومواقع البروباجندا تؤكد أن الفضائيين خطفوا أهالي قرية، وكَفْر بالكامل لدراستهم، وهراء مستمر من هذا القبيل، وهو لن يسمح بذلك.

يعلم من داخله أن الطفل لديه سر غريب، لماذا ظل فقط في القرية، ولم يختفي كما البقية!

القرية أقرب مكان يبعد عنها بأكثر من 20 كيلومترًا، واليوم عيد، وهناك إجازة لمدة 3 أيام مما يعني أن سيارات البضائع، أو ما شابه لن تكون هنا خلال هذه الفترة... هل هي مقصودة؟

أخذ يتفحص المكان ببصره، والطفل لا زال نائمًا أمامه محتميًا من قيظ الصيف في ظل شجرة ذات أوراق ضخمة... هناك بعض المحلات المفتوحة، ومنازل، وسيارات ليست فارهة، ولكنها تؤدي الغرض من التنقل، بالتالي لا بوادر على وجود سرقة، أو سطو على القرية.

فكر هل الغرض الانتقام؟

ولكن لو كان كذلك فهل هناك انتقامًا من قرية بأكملها، وأيضًا ما سر الكَفْر؟!

لفت نظره التبة الكبيرة من الرمال في نهاية القرية، هي على بعد دقائق من المشي فلم يجد أي مانع من الاتجاه نحوها مباشرة ليفعل، ويصعدها بسرعة، ويقف أعلاها.

هي أقرب إلى جبل صغير، لكنَّه يحس بشئ غريب، يشم رائحة تحوم في المكان... رائحة موت!

هل للموت رائحة؟ لا يعلم، ولكنه يحس بذلك!

نظر أمامه فوجد غابة، وليس أشجار كما كان يتخيل. تحديدًا هي نفس الغابة التي كانت موجودة في نهاية الكَفْر!

يبدو أن القرية قريبة للغاية من الكَفْر بدرجة كبيرة غير متوقعة، أمَّ أن الغابة طريق مختصر يربط بين الاثنين؟! لا يهم فهذا هو رابط جديد يظهر بين المكانين.

عاد ببصره، ونظر إلى المكان الذي ترك فيه الطفل نائمًا، فانتفض جسده واتسعت عيناه في صدمة!

اختفى!

هبط سريعًا من أعلى التلة، وكاد أن يقع عدة مرات، وهو يركض على التبة الرملية، ولكنه تماسك، وخلع جاكيت البدلة الذي يرتديه، ويكتف حركته، ثم سحب مسدسه، وأطلق طلقة واحدة في الهواء؛ لتخويف أي شيء حتى وصل إلى المكان الذي ترك فيه الطفل، وقلبه يكاد يثب من بين ضلوعه؛ بسبب المجهود.

اختفى الطفل بالفعل.

نظر حوله، وهو ينحني، ويأخذ أنفاسه بصعوبة بسبب الركض... لا أحد، المكان خالي كما كان، والرصاصة التي أطلقها لم تخيف أحد، ولو يظهر الطفل!

الوضع يزداد صعوبة، هل يتصل باللواء شعراوي، ويعتذر عن المهمة... لعنة الله على ضباط القسم الذين لم يأتوا بعد!

أخرج هاتفه ليتصل بالأمين محمد لديه في القسم فلم يجد شبكة للاتصالات ثانية!

يريد العودة، وترك القضية، ولكنه يعلم من داخله أنَّه لو فعلها فسيكون مسمار في نعشه الوظيفي خاصةً، وأنَّه انتقل هنا قبل شهر واحد فقط، وهذه هي القضية الأولى الغريبة التي يواجهها بعيدًا عن سرقة المواشي.

هو يؤمن إن إحساس البشر دائمًا صائب، وإن كان غريبًا غير واقعي، وإحساسه هذه المرة يقول إن السر في الغابة، عليه دخولها سريعًا مع وضع علامات حتى لا يتوه وسطها.

البيت الخشبي

قرر الدخول، لكنه نادى قبل أن يتجه صوبها بالسيارة عدة مرات على الطفل لكن لم يجد ردًا.

ركب سيارته وقادها سريعًا، والتف بها حول التبة الرملية متجهًا تجاه الغابة... هذه المرة لن يعود إلا بعد أن يعرف ما يحدث!

سار بالسيارة لدقائق حتى وصل إلى حدود الغابة ليضغط على مكابح الفرامل سريعًا لينزل ركضًا، وهو يشهر مسدسه حتى وصل إلى أطراف الغابة.

كبيرة للغاية، وكأنها تفصل القرية عن العالم، وبها أشجار طويلة من الكافور، وأسفلها شجيرات تمنع الدخول، وتحجب الرؤية... وكأنَّها مزروعة بفعل فاعل.

تسلق جزع شجرة كافور بصعوبة؛ لأنها ساق فقط بدون منحنيات يتمسك بها، ثم قفز من فوق الشجيرات؛ لينزل أرضًا، ويتدحرج لثواني ثم يقف متأهبًا... ها قد تخطى أول مرحلة.

الغابة مظلمة بشكل كبير رغم أن الكافور لا يملك أوراق ضخمة تحجب الرؤية! ربما السبب هو باقي الأشجار الموجودة.

أشجار لم يرى مثلها إلا على شاشات التليفزيون، المشهد جميل، ولكن الموقف لا يساعد على الاستمتاع به.

سار ببطء.

عليه المشي في خط واحد إلى الأمام فقط.

لفت نظره عدم وجود طيور على الأشجار، أو تحلق هنا، وهناك، لا صوت سوى الصمت، وكأن الصمت له صوتًا!

منذ متى لا توجد هذه الكائنات اللطيفة للاستمتاع بالطبيعة؟!

أخرج هاتفه؛ لينير له الطريق بشكل جيد، فوجد أنَّه لا توجد شبكة في المكان، فهزه، وكأنَّه سيُعيد الشبكة بهذه الحركات الصبيانية، فلم يجدها أيضًا ليضيء كشاف الهاتف؛ لينبعث ضوء أبيض ينير ما أمامه، وينظر، ويجد ما جعله يتوقف مبهوتًا!

كيف لم يرى هذا البيت عندما دخل أول مرة؟!

اقترب بحذر، البيت خشبي قديم، ولكنه غير متهالك رغم الرطوبة في المكان، بنوافذ زجاجية سليمة، وعليه بضعها ألواح من الخشب تتقاطع على هيئة "إكس"، وباب مغلق بقفل يبدو قديمًا.

البيت ليس كبيرًا، ولكن يبدو عليه أنَّه واسعًا، وبحدسه يظن أنَّه كان لمعيشة شخص ما، وليس مجرد بيت.

حاول فتح القفل فلم يستطيع، بحث حوله عن أي شيء يكسره بها فلم يجد، ليطلق رصاصة كسرته، ودفعه بقدمه، وتراجع إلى الخلف.

لا يريد مفاجأة، وأن يكون بالمكان حيوان، أو ثعبان يلدغه، وينتهي أمره منسيًا في غابة مظلمة!

انتظر دقائق ثم دخل مشهرًا ضوء هاتفه، ومن أعلاه فوهة المسدس، ودار

في البيت، به 3 غرف واحدة منهم كبيرة بها أسرة متهالكة، وأغطية ممزقة أتلفها الزمن، والأتربة، وهناك اِسوداد على الجدان، ورموز غريبة، ولكن غالبيتها ممحية.

الأرض خشبية ليست متهاكلة، وأسفلها يظهر بعض الرمال فقط بدون ملاط، أو سيراميك.

ومقابل الباب غرفة صغيرة للغاية يبدو أنَّها دورة مياه، فيما تصاعدت في المكان رائحة عطن كبيرة ممزوجة بالدم!

يعلم جيدًا رائحة الدم لأنَّه كثيرًا ما دخل أنفه بسبب عمله، ولكن لا يرى أي آثار دماء في المكان!

بحسه الأمني تعجب من فكرة الأخشاب على الأرض، لا يدري لماذا يذكره برائعة إدغار آلان بو "القلب الواشي" التي يحكيها راوي لم يذكر اسمه، ويسعى لإقناع القارئ بسلامة عقله في حين يصف جريمة قتل ارتكبها، حيث كانت الضحية رجلًا عجوزًا له "عين نسر" ثاقبة، ويتم التخطيط لعملية القتل بعناية، ويخفي القاتل الجثة بتقطيع أوصالها، وإخفائها تحت ألواح الأرضية.

هل يوجد أسفل الأرضية جثث؟!، أم أن عقله بدأ يضع معطيات غير واقعية؛ بسبب الأحداث الغريبة التي مر بها؟

ركع على الأرض، وحاول إزاحة ألواح الخشب المتهالكة، لينجح بالفعل، ويرفعها ويلقيها جانبًا حتى أتاح لنفسه مساحة للحفر في الرمال.

على الرغم من تقززه البالغ إلا أنه بدأ الحفر بيداه، وقذف الرمال الطينية جانبًا.

استمر أكثر من 5 دقائق حتى أحس بالإنهاك، واليأس، مجرد فكرة حمقاء راودته، وأثبت خطأها.

لا ليس كذلك!

شعر بأظافره التي اكتست بالسواد؛ بسبب الطين، والرمال، وهي ترتطم بشيء ما.

شئ عظمي!

بدأ يحفر بسرعة، وحماسة، هناك عظام بالفعل!

لا بل جمجمة!

هناك جمجمة أخرى!

يوجد جماجم مدفونة في الأرض فقط، ولكن بدون عظام الجثث.

أخذ ينبش أكثر، وأكثر لمسافة أكبر، ولكنَّه لم يجد أي شيء، فنهض، وجلس أرضًا، وأخرج سيجارة أشعلها بسرعة، وأخذ ينفث دخانها بشراهة، فهو لم يمر في حياته بهذه التجربة من قبل... تجربة لعينة!

تذكر المقابر في الكَفْر، هل ترقد هناك جثث هذه الجماجم، أم أنَّها جثث أخرى، والمنطقة كانت موعودة بكارثة!

لمح هناك شيء آخر مدفون، يوجد أطراف ظاهرة لكيس من القماش من أطراف الحفرة.

يبدو أنَّها كانت مدفونة قرب الجماجم، ولكن بهدف إخفائها؛ لأنها لم تظهر له إلا بعد الحفر، واستخراج الجماجم، نهض ثانية، وأخذ يسحبه بقوة ليخرج.

فتحه فوجد 4 ورقات صفر مهترئين بهم رموز، ورسومات غريبة، ولكن بها كلمات بالعربية بخط اليد، ومعهم ورقة رابعة، ولكن ملفوفة وحدها تتكرر فيها جملة "بحق آصف بن برخيا"، ومذكور فيها ما يسمى (تابوت العهد)، ورسومات لما يشبه التابوت، ومخلوقات غريبة.

من هو آصف بن برخيا... يشبه على الاسم، ولكن لا يتذكر!

الرؤية بدأت تتضح، هذا المكان كان لساحر، وهذه الجماجم لممارسة طقوس الظلام... لا يوجد أي معنى أخر لما وجده.

عندما يخرج من الغابة، ويصبح هناك شبكة اتصالات سيبحث عبر هاتفه عن هذا الشخص، وما يسمى بتابوت العهد، ولكن عليه أولًا أن يضع هذه الأوراق في جيبه... لقد ترك جاكيت البدلة الخاص به في السيارة.

طوى الأوراق في حرص ثمَّ وضعها في جيب بنطال البدلة، ونهض خارجًا.

عليه العودة إلى الكَفْر الآن.

نهض ليجد شيء آخر سقط من الكيس القماشي يبدو أنَّه لم يكن ظاهرًا له أول مرة. مفتاح يبدو أنَّه قديم للغاية، حافته مربعة ببروز صغير للغاية يبدو أنه يجرح.

لأول مرة في حياته يرى مفتاح بهذا الشكل، قلبه في يده على ضوء الكشاف؛ ليجد هناك بعض الكلمات المحفورة عليه لكنها ليست بلغة مفهومة، هي أقرب للرموز، والحروف المقلوبة!

***

نادى شاب بصوت خافت، وكأنَّه يتخوف من أن يسمعه أحد، على سيدة من قسمات وجهها وجسدها يبدو أنَّها نهاية الثلاثينيات، تجلس وحدها أعلى جزع شجرة بلياقة كبيرة، وتحني ركبتها، وهي تطالع بعض الأوراق غريبة الهيئة.

نظرت إليه من الأعلى لتسأله عن ما هناك، ليشير بيده إلى اتجاه ما، وكأنَّه خارج المكان، ويقول بنبرة مصدومة:

- لقد جاء!

نهضت بسرعة لتقفز برشاقة عالية، وهي تدور بجسدها حول نفسها، وتهبط

على الأرض واقفةً، لتطلب منه أن يذهب للاستعداد فيما ارتسمت على عيناها نظرة قاتلة... لما لا، وبالنسبة لها اقترب الحسم!

***

دس حسام الأوراق في جيبه ثم عاد سريعًا إلى الخارج؛ ليجد الصدمة.

السيارة ليست في المكان الذي تركها فيه!

هناك إحساس داخله يتصاعد بأنَّ هناك من يلعب معه لعبة لعينة، ولكنه سيجعله يدفع الثمن... فلا أحد يلعب مع شرطي!

نظر حوله فلم يجد أي آثار لها، وكأن الرمال ابتلعتها!

لا آثار لإطاراتها على الرمال، أو أي شيء حتى!

أعاد النظر إلى ساعته، تبقت ساعتين ونصف تقريبًا، ويكتظ المكان بالناس، وفرقة التحقيق التي سيرسلها اللواء الشعراوي. عليه التحرك سريعًا.

هناك من لا يريده في الكَفْر، أو ربما يريده حبيسًا في القرية لهذه الفترة لسبب ما!

سار باتجاه القرية، وهو يفكر.

الغابة تقود إلى الكَفْر يعلم هذا الآن علم اليقين، ولكن إلى متى سيسير فيها حتى يصل؟! ساعات بالتأكيد.

لكن ماذا لو ركض؟!

كثيراً ما شارك في مسابقات الركض، ومعروف بسرعته، ولكن مع السجائر أصبحت رئتاه لا تقدر على جهد كهذا... عليه التفكير أسرع... كيف يقطع المسافة بين القرية، والكَفْر سريعًا... يالغباءه!

القرية بها سيارات بالأساس... الناس هم من اختفوا، وليست السيارات!

وصل إلى التبة الرملية فصعدها بسرعة لينزل إلى القرية، ويشهق!

العاصي

منذ أن أخذه من يقول إنَّه خاله لم يجد أحد سواه للاعتناء به، تربى في كنفه، وتعلم منه كل شيء... علم أن اسمه (عزازي).

اسم غريب ربما، ولكن بالنسبة إلى طه لم يكن كذلك؛ لأنه ألفه، وتعود عليه.

رحل به إلى القاهرة الواسعة، حيث العمران، والبشر، شاهد العالم، ولكن لم يحتك به كما أوصاه خاله، فمن يحتك بالبشر يكون منهم، وعزازي يقول إنَّه ليس منهم!

عندما سأله عن (كيف أكون لست منهم) رفض الخال الإجابة، ولكنه وعده بالمعرفة قريبًا... وقريبًا هذا لم يأتِ لسنوات طوال!

عاش طه في منطقة الأزبكية، شاهد محبة البشر من خلف النافذة المصنوعة من خشب الأرابيسك، وكاد أن يحتك بهم عدة مرات، ويلعب مع أقرانه، ولكن صفعة من عزازي كانت تعيده إلى صوابه "ليسوا مثلنا".

كانت حياته في البداية غريبة، ولكنَّه ألفها، لا ينزل إلى الشارع، أو يشتري حتى متطلبات المنزل، كان يجدها دومًا أمامه دون أن يسأل متى جاءت؟

منذ أن بدأ وعيه في التشكل حتى بدأ معه خاله مرحلة تعلم القراءة، لم يعلم السبب حينها فهو في جميع الأحوال لا يعرف معنى التعليم، أو المدرسة كما يسمع الأطفال في الشارع يتحدثون، ولكنه وافق، ورضخ.

القراءة ليست سهلة خاصةً، وأنَّه كان يقرأ العربية بمصطلحات غريبة صعبة لم يتخيل وجودها، كما قال خاله لغة الأقدمين الذين لا يعلم من هم.

ثم بعدها بسنوات قليلة دخل مرحلة اللغات الأخرى!

لغات غريبة عبارة عن نقوش فقط، كان يحفظها عن ظهر قلب دون أن يعلم أهميتها، ولغات أجنبية أخرى ثم دخل مرحلة قراءة الكتب القديمة، الغريبة، ذات ملمس غريب أقرب إلى الجلد.

حين سأل خاله عنها قال إنَّها من جلد الماعز، ولكن منذ متى جلد الماعز ذو ملمس ناعم هكذا، ورقيق!

في سن العاشرة علم أنه سحر، وتعاويذ، وطلاسم مختلفة، وكتب قديمة للغاية لا يعلم كيف أتى بها خاله، ولكنه رغم ذلك استمر في القراءة، والتعلم؛ لأنَّ كما قال له عزازي: "دوره قادم، وعليه الاستعداد جيدًا".

هذه الجملة كان يرددها باستمرار، ولكن لم يعرف ماذا تعني... حاول كثيراً الاستفسار عنها فلم يجد إجابة... حاول الحديث عن أمه فلم يجد أيضًا أي رد، وكأنَّه انفصل عن العالم الذي جاء منه طفلًا يقترب من سنواته الأربعة.

كان يدخل كثيراً إلى غرفة خاله فلا يجده، ينادي عليه فلا يستجيب، وعلم بعد ذلك أنه يكون في مكان آخر غير عالم البشر، يقول إنَّه عالمه الحقيقي، واقترب موعد عودته إليه، ولكن عليه مساعدته للرحيل سريعًا.

هو خائف من فكرة رحيل خاله فلا أحد يعرفه، ولا يستأنس بأحد غيره رغم قسوته في أغلب الأحيان، ولكنها تجربة جديدة عليه خوضها وحيدًا، وتعلم جيدًا لها، ولكنه ينتظر فقط التعليمات الكاملة لتنفيذ المرحلة المقبلة.

قرأ كتب كثيرة منها شمس المعارف الكبرى، والصغرى لأبو العباس أحمد البوني، وخمائر السرائر الإلهية في بواهر آيات الجواهر الفوثية، وشرح الملخص في

الحيات، والدر المنظوم، و خلاصة السر المكتوم، وأيضًا الأوفاق، وكشف الكروب، والكهانة العربية قبل الإسلام، والعديد، والعديد من الكتب، والمعارف التي جعلت قلبه مليئًا بالسواد، وكأن ما يقرأه يزيح أي إيمان، أو محبة من قلبه، ويصب بدلًا عنهما القسوة، والسيطرة.

عرف أن العالم الذي يعرفه ليس كما يراه باقي البشر، عالم مختلف، ضخم، نحن مجرد براغيث تتقافز على سطحه دون أن تعرف ما يعيش داخله، بشر حمقى كما يصفهم خاله، وهو نفسه بدأ يوقن من ذلك.

تعلم العديد من معرفة الكون، استدعاء قرناء البشر، واستجوابهم، والسيطرة على بعض أنواع الجان الضعفاء فقط، ورغم عمره الصغير أصبح قادرًا على التواصل مع كيانات أخرى تسكن في عوالم أخرى لا يعلم كيف، ولكنها موجودة حولنا، وإن كنا لا نراها.

لم يكن التواصل بينه، وبين هذه الكيانات مادي فقط بل سمعي، وفي ظروف معينة لا تتكرر إلا نادرًا يكون مزيج بين الاثنين، فهو لم يتواصل إلا مرة واحدة، ولم يسمع منها شيء واضح رغم هذه السنوات.

عرف أن العوالم الأُخرى ليست عوالم سفلية كما يعتقد البعض، أو يسميها، ولكن هناك عدة عوالم حولنا بترددات معينة مختلفة عن ترددات عالم البشر، ولم أن هناك معاهدة من الماضي السحيق بسببها أصبح الوضع آمنًا لعيش الإنس، وهذه الكيانات دون قتل، أو حروب، أو سفك دماء.

هم لا يؤذون البشر، ولا يمكنهم الاقتراب منهم بالأساس إلا في لحظات فلكية لا تتكرر إلا نادرًا، وظروف خاصة للغاية لا يصنعها إلا عليم بهذه الأمور، وهو ليس عليمًا حتى الآن، وحتى خاله رغم قوته لا يعرفها بشكل كامل، وإن كان يسعى إلى ذلك.

ظن في البداية أن هذه مهمته، أن يصل إلى ثغرة لخلق بوابة بين عالم البشر، وهذه العوالم، لكن حتى الآن لم يصرح له خاله بأن يعمل على الأمر، لتمر السنوات، ويقترب من عمره الـ22 ولازال يتعلم المزيد، وينهل من قوى الظلام.

إلى هنا كان الوضع طبيعيًا حتى قبل موعد الكسوف الشمسي بأسبوع واحد.

حينها لم ينام عزازي، حيث استيقظ طه فجرًا ليدخل دورة المياه، فوجده يقف أمام الشباك يتلو تعاويذ الحضور، والاستدعاء.

من سيستدعي لا يعلم، ولكنه لم يقاطعه فالمقاطعة هنا تعني خطأ، والخطأ يعني كارثة ستصيب خاله، فتركه، ودخل إلى غرفته؛ ليستكمل نومه فلم يستطيع النوم اقتناصه لدخول عالم الأحلام، لينهض ثانية، ويخرج إلى الصالة حيث عزازي الذي يبدو أنه نجح في استدعاء شيء ما، ويتحدث معه.

يسمع صوته يقول:

- أريد العودة.

صوت غريب يحمل عمقًا، وكأنَّهُ قادم من خلف حجاب يرد عليه: أخطأت، وتعلم أن عودتك غير ممكنة.

- خاله مدافعًا عن نفسه: لم أفعل!

- رد غاضب يأتيه: كاذب. هربت، وكشفت سرنا الأعظم، بل ولديك منهم ذرية، وخلف.

ثم أضاف بصوت هادر أدخل رياح ساخنة إلى المكان: أنت ملعون!.

- رد عزازي بصوت غاضب: بل أنتم الجبناء، لدينا القوة للسيطرة، وتسيرون على قوانين قديمة منذ الأزل، تختفون وسط ترددات العوالم الأخرى، وتراقبوهم، وهم يضعفون، وتسخرون من ذلك رغم أنَّكم أضعف من أن تُظهروا أنفسكم.

صمت الصوت المقابل حتى ظن طه أنَّه اختفى.

ثوان ثم جاء الرد:

- أنت تعلم ما نحن قادرون على فعله، ولن تجعلنا نستشاط غضبًا، فنخطئ، وننكس المعاهدة... ماذا تريد يا باخي؟

خاله اسمه باخي! بل أن لديه أبناء أيضًا.

فكر طه في كيفية حدوث هذا، ومن الذي يتحدث معه خاله بل، وكيف يقول إنَّه كان من عالم آخر!.

لم يمهله الحوار الدائر، فتوقف عن التفكير ليستمع.

- لدي الطريقة للسيطرة على الأرض، والبشر، واختراق الأكوان الأخرى، لدي السر، ولكن أسمح لي بالعودة، وأعفوا عني، وسترون ما أنا قادر على فعله.

ضحكة ساخرة ترج المكان، والصوت يقول:

- كيف؟ بابنك؟ ابنك الذي يتصنت علينا الآن من خلف الستار!

ضحك ثانية، وتابع:

- لو استطعت دخول عالمنا ثانيةً فسأعتبر هذا برهانًا على أنَّك صادق، أنت تعلم أنَّه من المستحيل دخول عالمنا من جانب البشر، ولم يتوصل أحد إلى سر النفاذ، ولهذا إليك صفقة، وهي غير مكتوبة، ولكنَّها عهد لا ينكس، وأنت تعلم ذلك.

احضر إلى عالمنا، ولك العفو، أنت منفي منذ عشرات السنين، ولم تقدر، ولكن إن استطعت فعلها قبل الدورة القمرية المقبلة فلك الخلاص، والطاعة، وإن لم تقدر فليس لك شيء، وعليك دفع الثمن حين يأتي موعد السداد.

اختفى الصوت ضرب البرق المكان في الخارج بغتة فانتفض جسد طه، وتراجع بظهره إلى الحائط ليجد أمامه خاله!

بل والده! عزازي القادم من العالم الآخر الذي لا يعلم ما هو بعد، ولكنه توقع!

- هل أنت شيطان؟!

- لا.

- من أنت؟!

كما قلت لك سابقًا، كائنات كانت تعيش على الأرض، ولكن وُقعت معاهدة فصلت بين العالمين بترددات مختلفة، معاهدة لا تنكسر إلا بشروط، بتضحيات، ليست بفرد، أو اثنين، بل بسحر كبير، وعلم وفير لا يوجد إلا في تابوت السر، والعهد مكتوب!

- أي تابوت.

- تابوت السر.

- هل تقصد تابوت العهد المصنوع على يد بتسلال بن أوري، وبه ثلاثة صناديق مفتوحة من أعلى كل واحد منها داخل الآخر؟!

- لا... ما تتحدث عنه تابوت صنيعة الإسرائيليات، وليس له وجود سواء في الكتب المقدسة، أو الأحاديث المسندة القوية للأوائل.

تعجب طه:

- وما الذي تتحدث عنه أنت؟

- تابوت يعطي قوة هائلة لمن يتملكه تجعله قادرًا على السيطرة، والنفاذ إلى كافة العوالم الآخرى، بل، والتحكم في غالبية المخلوقات، والسر في ذلك هي ورقة العودة التي تم إخفائه داخله.

تعجب طه: لم أسمع عنها من قبل!

- هي أخر ورقة من أوراق العودة، هم 4 أوراق تناثرت في العالم القديم،

وحفظها بعض المكلفين بها، إن تلى أحد تعاويذها كاملة أصبح له السيطرة على باب النفاذ بل، ويمكن صنع ثغرات في العوالم ببساطة، ووقتما يريد.

- تقصد صنع أبواب تسمح بخروج، ودخول هذه الكيانات إلى الأرض؟!

- نعم، ولكني أتحدث عن أي كائنات، أو كيانات، من، وإلى الأرض بل من، وإلى كافة العوالم الآخرى، وبدون الورقة الأخيرة لا حل أمامي.

حاول طه الوقوف على قدميه، ولكنه لم يقدر؛ بسبب صعوبة الموقف الذي اكتشفه الآن، ولكنه استمر في الأسئلة، وتحديدًا سؤال واحد لم يجد له إجابة:

- لكن لماذا أنا؟! ولماذا أمي؟!

ضحك عزازي، وهو يرد:

- بل قل لماذا المنطقة التي تعيش فيها أمك؟!

- هل للمنطقة سر؟!

- نعم، بعد سنوات من المعرفة، واستجواب كيانات أكبر، وأعظم منَّا علمت مواضع ثغرات في العالم تقود إلى عالمي، منها ثغرة في هذا البلد، وهي صغيرة للغاية، وبحاجة إلى أن يتوسع حجمها بالتضحيات، والدم لسنوات تطول حتى تكون قادرة على تحمل مروري، ومرورنا بعد ذلك إلى الأرض.

هذه الثغرات هي الشيء الوحيد الذي يمكن استغلاله عن طريق أوراق العودة للنفاذ إلى العوالم، فبحجم التضحيات، ونوعها تحدد العالم الذي تريد الوصول إليه، الأمر يشبه ضبط الإرسال الهوائي على تردد معين.

صُعق طه: هذا دوري أليس كذلك؟

ابتسم عزازي، وأجاب: ليس هذا فقط.

كان طه يتوقع هذه الإجابة، فسأله: ماذا أيضًا؟!

- طوال السنين الماضية كنت أطوف حول العالم لأجمع أوراق العودة، أصبح معي 3 منها، ولكن تبقت واحدة خاصة بتابوت العهد، دورك، ومن بعدك ذريتك هو إيجادها، وحينها فقط تتم مهمتي، ومهمتك، هي الورقة الأصعب، والتي إن حصل عليها أحد نال تابوت العهد، والقوة المطلقة.

- وأنت؟

- سأعود.

- إلى الجحيم أليس كذلك؟

- لم أذهب هناك بعد!

ضحك طه بسخرية، وهو يرد: هل تظنني أبله؟ عزازي هو اختصار لكلمة عزازيل: أي الشيطان في اليهودية، والمسيحية.

- ليست كل الكائنات شياطين، وجن، وما إلى ذلك يا صغيري، ربما هناك أشنع، وأضل، فالشيطان يوسوس، ولا يسيطر، ولو كنت قويًا لواجهته وفزت عليه أمًا نحن فالأقوى وداخلنا شر عظيم، ولكن خوفنا من المرور إلى جانب البشر جعلنا ضعفاء مع مرور آلاف السنين.

وكيف تعيشون؟... على أرواح البشر؟

- بل طاقتهم، طاقة الفرحة، والسعادة، والنشوة، والخطايا.

- خطايا البشر!

- نحن طاقة، والخطايا هي أكبر طاقة نتغذى عليها، وما أكثرها من خطايا.

كل البشر يخطؤون، ونحن نلتهم شرورهم لتزيد طاقتنا، ونصبح أقوى، ولكن لازال العهد قائمًا، ولا يمكننا المرور للسيطرة على هذا العالم الضعيف.

- ولكن أهلك يرفضون الولوج إلى عالمنا بالأساس!

- نعم، لأنهم يخافون من العقاب المذكور في العهد، إن حاولوا المرور عنوة، أو بالتحايل كتبوا نهاية أنفسهم، يجب المرور فقط بمنفذ شرعي كما الثغرة، فهي فقط الوحيدة التي يمكنها أن تجعلهم يمرون ببساطة الثغرة لن تقدر على تحمل مرورهم إلا بأوراق العودة... هل فهمت؟

- نعم... ولكن ماذا لو حاولوا المرور عنوة؟

- لا نعلم ما سيحدث حينها، هذا الشيء مذكور في العهد، ولم يذكر أحد شيء أخر عن العقاب، ولكن ربما سيمنعهم كاتب العهد من ذلك فهو طالما في موضع حركة بين الثغرات يظل الأقوى بين العوالم.

- آلاف السنين لم تحاولوا المرور إلى عالمنا لأنكم خائفين من عقاب غير معروف من الذي يسمى كاتب العهد؟!

- عقاب معروف أهون ألف مرة من ألم لا تدري أين سيصيبك، كما أن السنوات تصنع التعود، فلو تعودت على الضعف، والخوف تملكك الأمران حتى تمكنا منك، وأصبحت أسيرًا لهذه المشاعر، ولكني تمردت رفضت ذلك.

- تمردت عليهم!

- نعم، في هذا اليوم الذي لم أدري سره حينها وجدت طيفًا أمامي من البشر، نحن نراهم، ولكن كخيوط من الطاقة تتطاير حولنا، وليس بهيئتهم الكاملة، ولكن هذه المرة كان طيفًا متجسدًا بأذرع، وقدمين!

صُدمت وكدت أن أصرخ، وتتناثر طاقتي لتلفت أنظار الآخرين إلا أنِّي قررت عدم فعل ذلك، مددت يدي إليه، فأصابته رعشة في جسده وانتفض وتلفت حوله كالمجنون، وعلمت حينها أن هناك شيء ما جعلني أصل إلى عالمكم.

حاولت المعرفة، وخرجت من المكان لأجد ظلًا هائلًا في الأعلى بدلًا عن كتلة الطاقة التي أراها يوميًا، عرفت أنَّها ظاهرة فلكية لديكم، ولكنَّها تؤثر على الأبعاد كذلك، وتضعف كافة الثغرات على الأرض لفترة قليلة للغاية.

ولأن الزمن لدينا يسير أسرع بكثير مما في عالمكم، فدقيقة واحدة لدينا تساوي ساعة على الأرض، تحركت سريعًا، وما ساعدني على ذلك أن لدينا ميزة أخرى، وهي أن التفكير هو أساس كل شيء، فلو أردت الذهاب إلى مكان ما عليك فقط بتوجيه طاقتك، والتفكير فيه لتجد نفسك هناك، ولهذا خلال ثواني في عالمي تنقلت في الأماكن التي لا تحوي طاقة مقدسة بل طاقة مظلمة، طاقة الشر التي كنت أريد الحصول على أكبر كم منها لتنفيذ فكرة كانت تختمر حينها في رأسي.

خلال ثواني فقط دخلت غرف الإعدام، والتعذيب، وأماكن الدجل، وشقق الدعارة، وحضرت عمليتي قتل.

- وكيف عرفت أن هناك عملية قتل ستحدث بالأساس؟!

- بالطاقة... القاتل تزداد طاقته، ويكتسي بهالة رمادية تزداد، وتتحول إلى الأسود تدريجيًا، فيظهر من وسط باقي البشر. نية الشر وإزهاق الروح هي ما تفعل ذلك ربما.

- لكنَّك دخلت إلى عالمنا، وفيه الآن... كيف!

صرخ غاضبًا:

- أتركني أكمل... دخلت هذا العالم منفيًا، منبوذًا بسبب هذا البشري الحقير الذي فتح الثغرة بالصدفة.

بدأ جسده يتشكل بسرعة، ودخل إلى عالمنا، ولا أدري كيف، كان من المفترض أن أخبر الجميع، أو اختفي، ولكني لم أفعل، بل ظهرت أمامه، وركزت كل طاقتي فيه، وهذه كانت التجربة التي أتحدث عنها نجحت بالفعل، واتخذته قالبًا لأدخل

إلى عالمه، إلى الأرض، فقط طاقة الشرور هي القادرة على دمجي مع البشر؛ لأنَّها أعظم طاقة، ولا تفنى.

صُبت طاقتي في روحه فاندمجت، وعاد بي إلى عالمه... فدخوله لم يستغرق دقيقة في عالمكم، وفجأة اختفى بعدها، وأنا داخله، وعاد إلى الأرض، وأنا معه.

تعجب طه: أي أن الأمر سهلًا... دخل، وخرج بسهولة!

- لأنَّه بشري، البشر فقط من يمكنهم الدخول بسهولة كهذا، ولا أعلم السبب، ولكنَّه لم يستمر بسبب الظاهرة التي انتهت سريعًا.

الأمر له علاقة بفترة الحدث الفلكي الذي سأخبرك عنه، ربما السبب هو تكوينهم المادي، أو لأنَّهم يحملون روحًا!

- وأنت، ألا تحمل روحًا؟

- لا أحملها، بل أنا طاقة خالصة، ولكنها كما الروح بالنسبة لكم، يمكن قتلها، والحصول عليها وتشكيلها.

تعجب طه مما يسمع، ولكنَّه لم يعلق!

كان يفكر في هذا العالم الآخر، معنا، يعيشون وسطنا، ينظرون إلى طاقتنا... هل يروننا، ونحن عرايا نستحم، أو نمارس الجنس، هل يشاهدون عراكنا ويسمعون سبابنا وغرورنا وما نفعله!

- ألم تخف، وأنت تندمج مع البشري؟!

- الفضول، ذلك الشئ الموجود داخل كافة الكائنات، بدايته نشوة المعرفة، ونهايته الندم، وأنا كنت أريد معرفة هل سأخرج إلى العالم الآخر، أم سأموت، أو سأفشل ولن أندمج معه. كانت الأسئلة في كياني بحاجة إلى الأجابات، بغض النظر عن النتيجة.

- لماذا لم تحاول السيطرة على الأرض وحدك مادمت قويًا؟

- نحن أقوياء بالترابط بيننا فقط، بالطاقة الخالصة التي تندمج فلا يتوقف أمامها أحد، ولا يقدر على مواجهته بشر، أما وحدي فلا أقدر إلا على أشياء معينة فقط.

- لهذا تريد العودة!

- نعم... سأعود لأنِّي علمت أن جانب الثغرة لديكم أضعف كثيرًا من لدينا، بالتأكيد لأن كاتبي المعاهدة كانوا يعلمون أن البشر ضعفاء، جبناء، لا يقدرون على المواجهة المباشرة معنا، أما نحن فأكثر قوة وسيطرة.

ولهذا المرور من جانبي مستحيل إلا بتلاوة أوراق العودة كاملةً، أو بتضحية كبرى لا يقدرون عليها، على عكس جانبكم فظواهر فلكية مثل: الكسوف القوي للغاية الذي سيحدث قريبًا سيفتح لي ثغرة لثوانٍ، وعلي المرور عبرها.

زاد تعجب طه: هناك كسوف قادم على الأرض؟!

نظر له عزازي بجذل: نعم، الأسبوع المقبل، وكأن القدر يرسم ملامح مستقبلي، هذه هي فرصتي الوحيدة للفوز بالوعد. سأعود رافعًا رأسي، ومعي الأوراق الثلاثة لتتبقى الورقة الأخيرة التي ستحضرها أنت لي وتعيدنا إلى الأرض، فتني الوحيدة، حلمي الذي لا أحلم إلا به.

- كم عدد أفراد عالمكم... ملايين، آلاف، مئات!

- 13 فقط.

إجابة صادمة لم يكن يتوقعها!

- لم تقل لي، لماذا أمي؟، فأنت هنا منذ مئات السنين لماذا لم تختار غيرها، أو لديك أبناء آخرين؟!

- حاولت كثيرًا وفشلت، كلما لمست امرأة وحملت ماتت ولم تلد! لا أبالغ لو قلت إني حاولت مئات المرات وفشلت!

لا أعرف السبب، ربما لأن أمك قرب منفذ العالمين، ولا أكذب عليك حين أقول إني اخترتها تحديدًا؛ لأني شممت داخلها رائحة شرًا خالصًا، وكأنَّها لعنة تختفي في جسد البشر رغم وجهها الحسن، ونسبها الطيب، ولهذا أقول لك هذه النصيحة: إياك أن تؤمن بمظهر خارجي يومًا.

تنهد طه بعد المحاورة الطويلة مع والده التي أنهكت عقله، وأصبح غير قادر على التفكير: وماذا بعد؟

سنعود إلى قريتك، فهناك مهمتك، أروي ظمأ بؤرة منفذ المرور بالدماء، وأجعل الثغرة تتسع، وتتسع حتى يحين الوقت المعهود، وتفتح مصراعيها أمامنا للمرور ليكون لك شأن آخر وسط عالمك، سأجعلك همزة الوصل بيننا نحن كيانات الطاقة والبشر.

زاغت عيناه، وكأنَّ الجنون مسه، وهو يضيف:

- اختر زوجة، وزد نسلك فلهم مهمة بدأت قبل وجودهم، وقد تكون نهاية هذه المرة في أيديهم، أجعلني فخورًا بك يا بني.

ابتسم طه بخبث وهو يرد: سأفعل.

***

الصدمات لا تنتهي بالنسبة إلى حسام الذي وجد في القرية بشرًا... أين كانوا وهل هم الأهالي؟!

يرى قرابة 10 منهم يقفون في الساحة، وهم يرتدون الجلابيب ناصعة البياض، ويعطون له ظهورهم يناقشون شيء ما!

أحس أن هناك شيء غريب، ولكن لا يدري ما هو... اقترب أكثر... هذه الجبال على جانبيه!

مهلًا!

هذه ليست القرية بل الكَفْر!

توقف مذهولًا، كيف وصل إلى هنا، والمسافة بين المنطقتين تحتاج إلى ساعة كاملة على الأقل سيرًا!

تسمرت قدماه أمام الناس الواقفة، والبيوت الخشبية بالجريد. كما دخل الكَفْر أول مرة، لا يوجد سيارات، وأمامه الجبل الضخم.

فكر سريعًا... لقد دخل الغابة من جهة القرية، وخرج من نفس الجهة إلى الكَفْر، مما يعني أن كل ما يحدث أصبح غير طبيعي، ويقسم من داخله أن به لمسة شيطانية.

وجد نفسه يضع يده اليمنى على حزامه من الخلف؛ ليسحب مسدسه ويشعره ببعض الأمان، ولكن لم يجده!

هل "نشله" أحدهم هنا!

أطلق سبة بذيئة، وسار إلى الكَفْر عله يفهم أي شيء في هذا الوضع، ليجد نفسه أمام الواقفين بعد سير دقائق... يسمعهم يتحدثون بصوت عالي عن شيء ما ببعض الغضب، لا يعلم ما هو بعد، ولكنه في طريقه إلى ذلك.

اقترب أكثر، وأكثر حتى وصل إليهم رافعًا يده بالتحية: السلام عليكم.

لا رد... تجاهل تام، حتى أنَّهم لم ينظروا له!

وقف وعلى وجهه ارتسمت علامات الغباء، يشعر أنَّه مكتوف اليدين في هذه

القضية ويبدو أنَّه سيظل كذلك... مع تفكيره في الفشل بدأ يشعر بالغضب البالغ ليشد رجل من جلبابه ليلتفت له، وليته ما فعل!

وجه عظمي!

ليست تجربة لطيفة رؤية وجه عظمي ينخر فيه الدود! لو خرج من المكان حيًا من المؤكد أنَّه لن ينام لأيام بعد رؤية هؤلاء المتحللين!

لم يشعر بنفسه إلا، وهو يدفع الرجل المتآكل لحمه إلى الخلف، ويتراجع بظهره ويسقط أرضًا صارخًا. هذه المرة الأمر لا علاقة به بمظهره، أو وجاهته كضابط بل بشعور بشري تحطم على صخرة الفزع، وتناثر فتات المعقول على أتربة المكان!

دار ببصره على الموجودين، جميعهم هياكل عظمية، الكل موتى!

والأدهى أنهم ضحكوا!

ضحكة كبيرة، وكأنَّها رجت المكان، وأسقطت عظام وجوههم أرضًا، فكر للحظات رغم المشهد المقزز في كيفية حديثهم بعد أن تساقطت عظام وجوههم وأسنانهم!

وكأنَّهم يريدون الإجابة على سؤاله أولًا فتحدثوا ليسمع أصواتهم تتردد في ذهنه مباشرة... لم يفكر كثيرًا في كيف يسمع صوتهم رغم عدم وجود أحبال صوتية بالأساس، بل كل ما كان يفكر فيه هو أن هذا ليس وقت التعجب إلا لو كان كل ما مر به طبيعيًا.

قال بنبرة باكية، وهو خائف من النهوض: من أنتم... بل ما أنتم!

- لا تسأل إلا ما تستحق معرفة إجابته.

دار ببصره عليهم لمعرفة من يصدر الصوت ففشل، ليقول باكيًا، وقد انهارت أعصابه تمامًا: أريد الرحيل.

- لا رحيل إلا بعد وضع النهاية، اللعنة مستمرة واختر طرفًا.

نظر لهم حسام متعجبًا: أي لعنة، وأي حل، أقسم لكم أنِّي لا أعلم أي شيء مما تقولون.

أنا رائد في الشرطة أتيت لحل قضية، وسأرحل، لا علاقة لي بلعنات، أو حلول، أو ما يحدث في هذا كله!

توقع أن يقولوا له "اعمل الصح" بصوت الفنان -غسان مطر- ولكنها لمحة درامية ساخرة لن تناسب الموقف؛ لأن ردهم كان صادمًا:

- لا تثق فيهم، لا تأمنهم، وإن طلبوا يومًا الأمان لا تعطيهم... هم ليسوا منا، ولن يصبحوا يومًا، نحن الخطائين أما هم فأبناء العاصي، وما أدراك بشرورهم!

للمرة الثانية يسمع نفس الاسم!

- من هم أبناء العاصي؟

- تجاهل الصوت السؤال، لكنه أضاف:

- تذكر، لا تأمن لهم، وعليك أن تضحي لأجله هو... هو فقط القادر؛ لأنه السر والخلاص والطوفان القادر على محو الخاطئين، والضعفاء!

ثم تداخل صوت آخر يقول: عليك بالظل الضخم!

نظر ببلاهة، وهو يستمع إليهم بحديثهم الغريب، ومعناه الأغرب، لكنه هز رأسه فهو لا يأمن لأحد بالأساس حتى لنفسه ليسأل: أين هم أبناء العاصي هؤلاء، وأين ذهب أهالي القرية، والكَفْر؟!

قبل أن يجيب الصوت، انتفض الواقفون فجأة وانهار الجبل أمامه لتتساقط صخوره بشكل مدو مخيف، ويسمع صوت عظامهم، وهي ترتطم ببعضها البعض، وتهتز وكأن هناك زلزالًا يدمر المكان!

- إنَّهم قادمون!

- من؟!

صرخ أحدهم فيه:

- قادمون... اذهب أنت!

سأل، وهو ينتفض خوفًا، ويكاد يبلل سرواله:

- إلى أين؟!

وجد أمامه مباشرة وجه عظمي يصرخ فيه "إلى واقعك"، ثم دفعه بأصابعه النحيلة العظمية في كتفيه إلى الخلف ليطير جسده إلى الوراء بقوة غير معقولة، وقبل أن يصل إلى الأرض، ويرتطم بها شاهد العالم ينهار أمام عيناه والأرض تتفتت ويسقط الموتى أمامه فيها وهم يصرخون، ليغمض عيناه بأقصى ما يستطيع انتظارًا لألم سيفتت أوصاله!

الخيانة!

وسط مزارع الخضروات التي تخلب العقل والعين، وقف طه، ليس وحده، بل معه والده، ليلقي عليهم الليل عبائته، ويحجبهم عن أعين من تقودهم أرجلهم صدفةً إلى المكان، لا يريدون المجازفة بفضح أمرهم الآن، ولا في أي وقت آخر. عزازي يريد فقط العودة، وعمل التعاويذ اللازمة، والتضحيات.

الثغرة الأقرب بين العالمين في المنطقة التي يقفون فيها، يجب بناء بيت في هذا المكان فقط.

لم يضيع طه وقتًا بل باع منزل والده على الفور، وبدأ في بناء البيت الجديد من الخشب لإنجاز الوقت على أطراف القرية قرب الغابة، متجاهلًا غضب بعض الأهالي، ونظراتهم التي تقطر شرًا، وغلًا تجاهه.

لهم يوم آخر ولكن ليس الآن.

البيت سيكون خشبيًا، مدعومًا بطلاسم معينة رسمها في الداخل تسهيلًا لتقديم التضحيات، وحمايته من المتلصصين.

والأهم أنَّه حفر لبؤرة النفاذ وسط المنزل، وهي التي من المفترض أن تتوسع، وتزيد لاستيعاب القادمين من العالم الآخر.

الأمر سهلًا، ولم يكن يتخيله كذلك.

يومان فقط على الكسوف.

عليه بدء تقديم التضحيات، لا يعلم من أين يبدأ، وعزازي لا يساعده بل يكتفي بقراءة أوراق صفراء أحضرها له أحد أتباعه غير المرئيين، ويقول إنَّه سيقود إلى تابوت العهد.

لمح طفل صغير يسير وحيدًا، ويبدو أنَّه يريد الذهاب إلى شجرة التوت فابتسم بجذل، وهو يردد من داخله بوحشية "سيكون هو الضحية الأولى"!

نادى سريعًا على عزازي، عليهم عمل حلقة السيطرة وتركيزها على الطفل ليأتي بقدميه إلى البيت، وهي لا تتم إلا بشخصين، كما أنَّه لا يريد أن يجازف بالخروج، وإحضاره فربما يشاهده أحد، ولو صدفة فالمكان أصبح مكشوفًا بعض الشيء بعد أن نظفه من أشجار الخضروات، والفاكهة الموجودة.

حضر عزازي سريعًا ليشير له طه عبر النافذة المفتوحة إلى الطفل ليفهم الأب سريعًا، ويمسك يد ابنه، ويغمض الاثنين عيناهما، وتبدأ الحلقة.

الأتربة تتصاعد من الأرض حولهما في رفق، وكأنَّها تداعبهما، وريح حارة هبت فجأة في المكان انطلقت إلى الطفل الذي انتفض فجأة ثم بدأ يسير تجاه المنزل.

تعالى من الخلف صوت طفل آخر، وكاد عزازي فرحًا أن يشير إليه ليأتي هو الآخر إلا أن طه منعه. اختفاء طفل واحد يمكن أن يمر، أما اثنين فلا يمكن!

تجاهل الطفل الذي نعلم أنه سيد نداء صديقه، واستمر في الاتجاه نحو المنزل، نحو قدره المرسوم.

لا داعي لشرح المشهد التالي فهو صادم بما يكفي، ولكن فعلها طه وعزازي بدم بارد، وأسالوا الدماء على بؤرة النفاذ، ودفنوا الرأس في الرمال فوقها، وألقوا الجسم الصغير بإهمال بجانب الحائط إلى حين التخلص منه.

وكأن الأرض تعاني من جفاف، كلما سالت الدماء طلبت المزيد، وارتجت بشكل بسيط راضية عن ما قُدم للأسياد القادمين.

برضا تام تخلص طه من الجثة وسط المزارع، ثم عاد إلى عزازي الذي بدا راضيًا هو الآخر.

غدًا في الثالثة عصرًا سيكون في عالمه، منتصرًا، رافعًا راية السيطرة بعد ذل استمر مئات السنين، لكن أولًا تبقت تضحية أخرى.

لم يجد طه أفضل من أبو المعارف، لأنَّه يرى داخله طاقة نورانية غريبة قد تضعه في مأزق، والفرصة مواتية للغاية؛ لأنه التقى به صدفة، وهو يبحث في القرية عن ضحية جديدة. سيكون هو الموعود ويروي ظمأ العاطشين.

التسلل كان سهلًا إلى داخل الزريبة التي يعيش فيها أبو المعارف.

تعجب في البداية من كيف يعيش مثل هذا الرجل بهذا المكان القذر، ولكن البشر معروفين بأنهم لا يبالون إلا بحسن المظهر، جميل اللسان، يعلم من داخله أن وجود أبو المعارف هنا كان يحمل انتقامًا غير مقصود منه، وكأنَّهم يقولون: "أنت تسخر منا.. تحمل إذن وضعك". لا يهم فهو قرر إراحته من هذه الحياة، ونظرات الشفقة على وجه البشر، وتجملهم المزيف.

بسهولة، نحر عنقه، ووضع رأسه سريعًا في كيس ضخم أتى به ثم رحل ليسكب الكيس في البؤرة.

الارتجاج هذه المرة كان قويًا بشكل أكبر من السابق، ودفع بعض الرمال الطينية إلى الجوانب لتظهر ما تبدو حفرة حالكة السواد كما قلبه.

وضع يده فيها فارتطمت بشيء غير مرئي، الحفرة لا تنفذ إلى مكان آخر، ويبدو أنها مسدودة بالظلام، لا يعلم إن نجح أم لا، ولكن تبقت ساعات فقط على الكسوف وعليه الاستعداد.

عزازي جالس أمامه على الأرض مغمض العينان يتلو تعاويذ فتح الثغرة، ويرددها كل ثانية وكأنَّه يتوق إلى الذهاب الآن، ويريد تحدي الزمن الباقي على العملية.

مر الوقت سريعًا، وكأنَّه يمتطي خيلًا، ليستعد الأب وابنه للمسات الأخيرة، تبقت ربع ساعة على الحدث العظيم، بحسب علمهم الباطن لا يوجد خطأ، فعلوا كل ما سيجعل الثغرة تُفتح.

جلس عزازي القرفصاء عاريًا من جذعه أعلى البؤرة، وعلى جانبيه جمجمتي الطفل وأبو المعارف، راسمًا على جبهته كلمات الانفصال عن الجسد... فهو لن يذهب بجسده بالتأكيد إلى عالمه، فهناك طاقة خالصة فقط ظننت هذا مفهومًا!

أمامه يجلس طه عاريًا هو الآخر، وفي يده خنجره استعدادًا لإسالة دمه على والده وقت الكسوف.

المشهد بالتأكيد مقززًا، ولكنَّه ضرورة لنجاح العملية، وعزازي يعلم هذا وفي جميع الأحوال هو ابنه فلن يمانع أن يستحم بدمه!

خمسة دقائق متبقية...

دقات قلب طه تزداد، هي التجربة الأولى، وإن نجحت ستكون بداية لفتح ثغرة كبرى تحضر الأسياد إلى الأرض، لا يريد التفكير في احتمالية الفشل لأنه غير مطروح.

3 دقائق...

الوقت أصبح يمر بطيئًا، يفكر طه هل سينجح، ويفكر عزازي كيف سيستقبله عالمه؟!

دقيقتان...

يقسم عزازي أنَّه لو عاد سيجعل الأرض ملكًا لعالمه بمجرد العثور على تابوت العهد... ولكن كيف سيجده... لقد بحث كثيرًا في أوراق السحر القديمة، ولم يجد إجابة بعد.

أما طه فُشل تفكيره، لا يفكر في أي شيء، جسده أصابه بعض الخدر؛ بسبب الإثارة ويحس بعرق بارد ينسال إلى أسفل ظهره.

دقيقة واحدة...

أغمض طه عيناه، ووقف مقابل والده الجالس أمامه، ويغمض عيناه هو الآخر، ثم جرح ذراعه بالطول بسكين مقبضه أسود ونصله ملتو وعليه كلمات محفورة بلون أحمر قان، لينهمر الدماء فوق رأس عزازي.

30 ثانية...

الأرض ترتج بشدة، ويسمع في الخارج أصوات ريح مخيفة، وظلام بدأ يكتسح المكان.

الألم في ذراع طه لا يطاق؛ لأن الخنجر عليه تعويذة الاستحواذ وليس فتح الثغرة!

مهلًا، استحواذ!

إنَّه فخ من الابن لأبيه!

فتح عزازي عيناه، وهو يصرخ بألم لا يتوقعه، لم يتوقع الخيانة من ابنه الذي علمه لسنوات!

يشعر بطاقته تحرقه، ليفتح عيناه، وهو لا يقدر على النهوض ليجد طه بدأ في الضحك بشكل هيستيري، وهو يشعر بشلال من الطاقة يجتاح جسده.

صرخ عزازي وسط ألمه بأقصى قوته، بغضب وحرقة تلقي طعنة غادرة من

شخص وثق فيه، غضب تحول إلى كراهية لا حد لها لابن من صلبه ظن بغباء أنَّه سيكون سندًا له، سب طه وصفه باللعين، ليرد ابنه بالضحك المتواصل، وهو يفرد ذراعيه بجانبه وتبدأ كلمات مضيئة بالحفر على جذعه العاري.

بدأ جسد عزازي في الانصهار، وكأنَّه يذوب في الجحيم، تقلص جسده حتى أصبح عظامًا تفتت، وتناثرت في المكان، وفي المقابل تضخم جسد طه بشكل غريب، وكأنَّه شخصان وليس شخص واحد!

قبل ثواني من حلول الظلام التام على المكان، وإتمام الكسوف، خرج ظل أسود ضخم من جسد عزازي ليقتحم جسد ابنه الذي انتفض ورفع جسده وكأنَّه يطير في الهواء ثم حل الظلام التام!

مرت دقائق الكسوف، لتبدأ الشمس في العودة لتضيء المكان... فوق رمال البؤرة يتناثر هيكل عظمي متحلل كان لكيان من الطاقة يدعى عزازي!

أما على الأرض، جسد طه مستلقي، ومُغطى بالعرق، ويتنفس بصوت عالي وكأنَّه يلفظ أنفاسه.

فجأة شقت صرخة من شفاه طه المكان، وكأنَّها عنقاء يخرج من رماد الغدر والخيانة معلنًا حياة جديدة، ثم نهض وهو يتحسس جسده بالوشوم الغريبة التي رُسمت عليه كدليل على نجاح الاستحواذ ونقل الطاقة إليه.

نجحت خطته واستحوذ على طاقة والده بالكامل، خدعه وتعلم منه كل شيء ثمَّ قتله... هو المزيج من البشر والطاقة، وأصبح لديه الآن العلم الذي لم يعلمه أحد غيره... علم كفيل بجعله سيد الأرض بل والأكوان كلها.

كان الكسوف هو الحل الوحيد لينفذ خطته.

هو من كان ينتظر هذه اللحظة وليس والده الغبي.

لم يكن عزازي يعلم أن طه عرف الحقيقية منذ فترة طويلة، عرفها حين تعلم السحر، وعرف كينونته، حين استجوب كائنات أقوى من البشر ووجدهم يتعامون معه باحترام وتقدير؛ لأنه القادم من العالمين، أحس من حينها بالقوة، وأنَّه من سيسود وليس أحد غيره حتى ولو كان من عالم آخر، سيصل إليهم ويجعلهم تحت طوعه ليحكم الكل ويضع قوانينه الخاصة.

وسط ضحكاته المجنونة، وأفكاره المتسارعة للسيطرة وجد جملة ترسم على رمال البؤرة، وكأنَّها رسالة كُتبت من كيانات العالم الآخر، اقترب منها ليرى ما فيها، بالتأكيد رسالة هامة ربما رسالة استسلام منهم، أو ولاء.

ليس ليست كذلك!

مجرد اسم...

أو ربما وصف...

العاصي!

البيت الخشبي

أحس حسام بأن جسده ينتفض فجأة بعد أن دفعه الهيكل العظمي بأصابعه.

لا يوجد لديه شعور بالسقوط ولكنَّه صرخ من ألم رهيب حل في جسمه فجأة ليغمض عيناه بقوة أكبر، وهو يزيد في صراخه حتى كادت حنجرته أن تنخلع... فجأة ذهب الألم تمامًا وكأنَّه لم يكن!

فتح عيناه... هل مات!

يقال إن من يموت يرى نفسه في نفق مظلم، وأخره نور ساطع، ولكنَّه لا يرى حوله أي نور بل، ولا يشعر أنَّه ميت لأن جسده المادي يتألم...

نظر حوله ببطء، وكأنَّه يحاول تقبل ما يحدث له من غرائب... لازال في البيت الخشبي بالغابة.

هل كان يحلم... لا بديل سوى هذا ليقنع عقله المادي المحدود بما جرى!

أحس بألم شديد أعلى كتفه الأيمن ففك أزرار قميصه، ونظر ليجد آثار كدمة!

اِقشعر جسده وأحس ببرودة في أطرافه، لم يكن يحلم!

كان هناك بالفعل، والتقى بهؤلاء الموتى، لكن كيف!

نهض هذه المرة، ولكن لم ينسى أن يقرص نفسه ليتأكد أنه لا يحلم ثانية، وخرج من البيت الخشبي متجهًا إلى الخارج للسيارة.

وجدها بالفعل تنتظره ليركب بسرعة، ويقود متجهًا إلى الكَفْر، ولكن هذه المرة لن يتصل بأحد فلم يصدقه أي شخص مهما قال ومهما كانت محبة الناس له.

يتخيل نفسه، وهو يتصل ليقول لأحد الأمناء في القسم إنَّه كان في حلم مع موتى تساقطت عظامهم، وانهار العالم حولها وكان كل هذا يمزج بالواقع والدليل كدمة!

ربما الاحتمال الأكبر بل الأكيد أنَّه سيكون نزيلًا مميزًا في مستشفى الأمراض العقلية، وربما تنظم بعض المدارس رحلات إليه لزيارته بصفته (مجنون ميري).

ابتسم في سره لما تخيله ثم تأكد من تلقيم مسدسه وهو يقود السيارة... يقترب من الكَفْر والساعة الآن اقتربت من التاسعة والنصف صباحًا ليردد، وهو يشتاق إلى فنجان من القهوة: "يا له من يوم"! ثم أطلق زفرة حارة أخرجت بعض التوتر داخله وهو يدخل إلى الممر الجبلي الضيق وصولًا إلى الكفر.

توقف أمام صف الأشجار الفاصل بين المقبرة والغابة ونزل من سيارته سريعًا... يرى الظل واضحًا أمامه يلقيه الكافور على الأرض... ظل ضخم!

هذا ما قصده الموتى في الحلم.

لا يوجد غيره لأن الجبل ظله خلف الكَفْر وليس على المكان.

توقف لثوان وهي يفكر.

ظل ضخم!

هناك ظل ضخم آخر أيضًا، فاليوم سيحدث كسوف شمسي أي أن الأرض، والقمر، والشمس سيكونان على استقامة واحدة تقريبًا، ويكون القمر في المنتصف بحيث يلقي ظله على الأرض، ولكن أي حل سيقدمه كسوف الشمس!

عاد إليه التردد ثانيةً، ولكنَّه مر إلى المقابر ودخل الغابة.

في القرية كان بها الحل وفي الكَفْر أيضًا قد يكون بها شيء يستند إليه للوصول إلى الحقيقة.

وكأنَّه يراهن على إحساسه، بعد دقائق من السير داخلها وجد بيت خشبي آخر!

هذه المرة لم يتعجب من شئ فقد رمى الواقع، وبدأ يستسلم لأي مفاجأت، دخل بدون تردد وكما في المرة الأولى وجد ألواح خشبية نزعها، وبدأ يحفر.

هذه المرة جثث!

لكن على عكس البيت الأول.

هنا جثث كاملة، وليست جماجم!

نبش بيداه حول الجثث محاولًا أن لا يغشى عليه من التقزز، والاشمئزاز فلم يجد أي شيء.

لا إجابات، بل زاد الأمر تعقيدًا بالنسبة إليه، ليته يغمض عيناه ويفتحهما ثانية فيجد نفسه في المنزل نائمًا، وكل ما يحدث كان مجرد كابوس.

يتمنى لو كانت المواقف السيئة كالحلم يمكن أن تمر ببساطة وتُنسى، لكن الواقع أقسى من ذلك.

أهال التراب على العظام احترامًا للموت ثم خرج إلى الكَفْر.

نطفة ملعونة!

أصبحت أمام طه الآن مهمة شاقة، عليه بالفعل أن يجد تابوت العهد، والتحضير للسيطرة على كيانات العوالم الأخرى، لن يكتفي بالأرض، أو العالم الثاني الذي جاء منه والده.

يعلم أن هناك مئات العوالم الآخرى التي لا تُرى، ولكن يفصل بينهم بوابات وثغرات، سيبدأ بعالم أسياد الطاقة، ومن خلاله سيمر إلى عوالم أخرى وأخرى حتى يصبح سيد الجميع بلا منازع.

لا يمكنه أن يأمن لمخلوقات غير البشر حتى وإن كان واحدًا منهم الآن، لكن عليه فقط الاستعداد جيدًا، ففكرة السيطرة على كيانات قوية مثل هذه ستجعله يحكم العالم يومًا، ولكنَّه بحاجة إلى أتباع وأبناء وأحفاد، بحاجة إلى أقوياء بجواره لتنفيذ هذه الخطة الكبيرة.

خرج من البيت، وهو يفكر في طموحاته التوسعية المقبلة فوجد شيئًا غريبًا!

الغابة من خلف البيت يبدو وكأنها زادت وكبرت!

هل لما فعله تأثير وسبب في هذا الموقف؟... بالتأكيد، ربما الطاقة، والاستحواذ مع الكسوف أطلقت قوى غريبة... لكن منذ متى تنبت الأشجار في نصف ساعة؟!.

ذهب إلى أول صف من الأشجار، وتحسس أوراقها... تشبه الكافور ولكنَّها ليست كذلك، ربما متينة أكبر، شيطانية إن جاز التعبير.

حسن، هذه مملكته الآن، وغابته، سينفذ فيها طقوس الظلام، ولكنه الآن لا يريد أن يشغل نفسه بالتفكير في أشياء كهذه، يريد أولًا أن يفعل كما فعل والده، يضع نطفته في امرأة مختارة بعناية. عليه أن يصنع نسلًا قويًا قادرًا على القيادة، والسيطرة، يُخضع العالم، ولا يخضع له، يقود العوالم وليس الأرض فقط... عليه أن يطلق جيشه الصغير، وأتباعه... وأبناء العاصي.

فخرية

بعد مراقبة نساء القرية اللاتي يزن عددهن عن 20، لم يجد أسوأ من فخرية... نالت لقب (عاهرة الظلام) عن جدارة.

نفذ نصيحة والده، ولم يهتم بنسبها وأخلاقها الظاهرية، فهي تحمل في داخلها شرًا خالصًا كما أمه، وإلا فما سبب تسللها ليلًا بعد ذهاب زوجها إلى القاهرة للتجارة، وذهابها إلى بيت فؤاد البقال تارة وشوقي الذي يعمل في محاجر القرية المجاورة؟!

لو لم تكن خائنة فهو لا يفهم شيئًا في البشر، كما أنها تمارس هواية الفتنة بين البشر، تتعمد رفع ذراعيها فتنسال العباءة السوداء؛ لتكشف ذراعيها الناعمة البيضاء أمام الرجال لترى نظراتهم اللاهثة على جسدها، وتتعمد أن تضع روائح ورود مثيرة، وثقيلة تزكم الأنوف على ملابسها، وكأنَّها تحاول غسل سوادها بجمال الطبيعة.

هي مناسبة للغاية، فجسدها بيضاء، وكأنَّها خرجت لتوها من كوب لبن، مثيرة بالنسبة له، كما أن شرورها المدفونة تزيدها فتنة ... هي الهدف الأهم الآن أمامه خاصة بعد أن قابلها يومًا والتقت عيناها بعينه فأجفلت.

هو يحمل فتنة كبيرة أيضًا، يبدو أن الشرور تنجذب إلى بعضها البعض كما المغناطيس.

مرت بجانبه في ذلك اليوم، وارتطمت بكتفه وكأنَّها غير متعمدة فشم بأنفه رائحتها المثيرة، ثم التفتت له بدلال وكأنَّها تقول له: "مش تحاسب" ثم أكملت سيرها، وهي تتمايل.

هز رأسه وسط نظرات حاسدة من بعض الرجال حولها لأنَّها لمس هذا الجسد، ولكن ما كان يشغل تفكيره هو من يصدق أن زوجة محمدين تكون بهذه الأخلاق... أيقن أن المظاهر في غالبيتها خادعة، وكأنَّها محاولة خبيثة لإخفاء الباطن بالظاهر، أو ربما تلاعب وخط حماية لعدم كشف مثل هؤلاء... فاللص يسمي الله قبل أن يفتح باب منزل، والرجل الذي يخون يدعو الله أن لا ينكشف أمام زوجته... هو استهزاء لطالما ألفه، وشاهده في طبائع البشر، ومناسب تمامًا لاستغلاله.

مساءً تسلل من حديقة بيتهم البسيطة، وفتح الباب ببساطة فلا يوجد باب يقدر على منعه أو قفل يقف أمامه، ثم دخل وهو يعلم أنها وحيدة الآن، وتستعد للتسلل والذهاب إلى البقال فاليوم الثلاثاء هو يومه!

دخل عليها فجأة غرفة النوم فوجدها تتزين وهي ترتدي ملابس نوم شفافة وبجانبها عبائتها ملقاة بإهمال على السرير.

كادت أن تصرخ، ولكنها فجأة وجدته أمامها واضعًا سبابته على شفتاها فمنعتها الصدمة من أي ردة فعل.

دقائق فقط، وكان الوضع محمومًا بين الاثنين على فراش السيدة، لينتهي بالحرام والنطفة الملعونة داخلها، بعد أن رسم وجهها ابتسامة رضا ممزوجة بنشوة عاهرة انطفأت نارها وخبت نشوتها، ليخرج طه من البيت، وهو فخور بما فعل سعيد بما جرى، مترقبًا للقادم.

***

بعد عوته أخذ يفكر فيما حدث... أمامه مساران، إمَّا أن تموت، أو تحبل، لا حل ثالث، لكن كيف يعلم أن من داخلها ابنه، أو ابنته وليسوا لرجل آخر غيره؟!

لا يعرف ولكنَّه سيعلم حينها، فأبناء العاصي موصومين بقوته، ظاهرين بطاقته منذ ولادتهم... سيعلم ومتيقن من ذلك!

أصبح يتردد عليها لسببين، الأول لمتابعة حالتها فهو لديه العلم لمعرفة الحمل، وقد بدأت تظهر عليها العلامات بالفعل، والآخر للمتعة فهي كانت تشبع رغباته الطبيعية والشاذة... ومن حسن الحظ أنَّها لا تعيش وسط القرية بل قرب الغابة ليكون زوجها قريبًا من مستودع القمح الخاص به، أي أنَّها قريبة، وهو ما سهل عليه الأمر.

لم تتم التسعة أشهر ووضعت. طالما كانت الحالة شاذة بهذا الشكل فهم أبنائه!

ولدان... كانت حامل في توأم. بداية قوية بالنسبة له. كم تمنى أن تكون أرنبة لتلد له أكثر، ولكن هناك مرات قادمة، عليه فقط الانتظار.

ترك لها الأبناء، وزوجها المغفل السعيد بذريته، والذي لا يعلم أنَّه يربي في منزله أولاد العاصي. أعاد الكرة، فحملت ثانيةً ووضعت، ولكن هذه المرة ولد وفتاة جميلة تشبهه. أصبح أولاد العاصي 4، ولكنَّه يريد المزيد، وجرب حظه مع سيدة أخرى ولكنَّها حملت، وماتت فيكفيهِ فخرية!

أصبحت حامل ثانية، الأرنبة تلد له أبنائه، وهو ينتشي منها نشوة وسعادة والأمور تسير على ما يرام. طفل واحد هذه المرة!

طفل نحس كما وصفه؛ لأن بعد ولادته مباشرة ماتت الأم!

مرضت، وأصابتها الحمى بعد الولادة بأيام، ربما من إثمها، أو عقاب لها على ما فعلته في حياتها... وفي الموت يتوب المرء!

لم يصدق أنها اعترفت ببساطة، وهي على فراش الموت أن أبنائها منه!

اللعينة أضاعت خطته، وهو لا يمكنه الهروب من القرية، وتركها بسبب البؤرة التي يرعاها بدماء أهالي القرى المجاورة، والمتسولين منذ أن جاء!

اعترفت لزوجها محمدين فجن جنونه، وقتلها وهي على فراش الموت... قتل المثيرة ذات الجسد البض الذي طالما أشبعه. خنقها ببساطة وأزهق روحها، وهو يصرخ وخرج في الشارع وهو يقسم أن يقتل طه هو الآخر!

تجمع الأهالي، وقد عادت لهم ذكرى أمه سيئة السمعة الساحرة وقرروا سفك دمه وقتل أبنائه!

لن يسمح لهم!

هو الأقوى!

الواقعة حدثت في المساء، ولن يقرب منه أحد في الليل لينتهز الفرصة ويذهب سريعًا ويشعل النار في بيت الرجل الغاضب، وأخذ أولاده وهرب بهم إلى البيت الخشبي.

صغاره أبناء العاصي، كلما نظر إلى وجوههم أحس بالغضب من الأهالي واللعينة التي تابت في اللحظات الأخيرة. يلعن ضعف البشر في كل لحظة، وكأنَّه ليس منهم، ويقسم من داخله أنه سيجعلهم يدفعون الثمن.

هو ليس غبيًا ليعلم أنهم يستعدون لقتله، ولكنهم خائفين فقط بسبب الهالة المخيفة حوله، فابن الساحرة ساحر بالضرورة، ولكن إلى متى سينتظرون؟!

في الواقع لم ينتظر طويلًا، فمع حلول ليل اليوم التالي أتاه النذير، غراب أسود أخذ ينعق أعلى البيت.

خرج سريعًا أمام البيت، والأطفال نائمين، أطعمهم قبل قليل من الطعام الذي

يخزنه في البيت فهمدت حركتهم، الغريب أن الكبار لم يبكون وهو غريب بالنسبة لهم، حتى الفتاة والطفل كانت ردود أفعالهم وكأنَّهم يعلمون من هو جيدًا فلا خوف منه، إنهم أولاد العاصي على حق، الآن أيقن من ذلك.

يقترب الجمع، وهو يقف مترقبًا وصول أكبرهم، الغضب يرتسم على وجوه الجميع، والمشاعل مرفوعة بيد وفي الأخرى أدوات حادة قاتلة، هذه المرة لا يوجد سوى الموت يتربص بالمكان. يخيل له أنه يحلق، ويفرد جناحاه في انتظار اقتناص الأرواح.

لم يخاف بالطبع منهم، فهو قادر على قتلهم جميعًا، وسيكون سعيدًا بذلك، ولكنَّه لا يريد المجازفة بقلب الأوضاع عليه كما حدث مع أمه.

- يا ابن العاهرة... أقسم أنِّي سأقتلك... قالها محمدين وهو يركض تجاه طه، ويرفع منجل حصاد استعدادًا لطعنه، وهنا الأمر لا علاقة له بالتعقل، فمحاولة جمح رجل غاضب أشبه بمحاولة صعود شلال من الأسفل للأعلى!

لم يجد طه بدًا من فعلها. تمتم بكلمات تشل الجسد، ورفع يده تجاه محمدين الغاضب فتجمد مكانه، بل تجمد الموقف تمامًا. نظرات مذهولة، وأجساد ترتعش، إنَّه ساحر ابن ساحرة بالفعل بل هو أعتى، وأضل!

بدأت الهمهمة تتصاعد من الموجودين، وعددهم بالعشرات، وتراجع بعضهم إلى الخلف، لولا بعض الجرأة لركضوا عائدين إلى بيوتهم، وليذهب محمدين وزوجته الخائنة إلى الجحيم!

أما محمدين فلا يدري ما أصابه، تسمر، وكأنَّ شيء يغرس جسده في الأرض، وكتلة تحيط ماديته، هل جربت من قبل أن تضع نفسك في مرتبة وتلفها حول جسدك تمامًا لتطوقك فلا تقدر على الحركة، هو يشعر بنفس الأمر الآن.

قال طه بصوت جهور:

- لا أريد العراك، أو إيذاء أحد، لكم مني الأمان، وفي المقابل تعطوني إياه، لقد ذهبت العاهرة إلى الجحيم، ولن تجازفوا بأرواحكم، وبيوتكم لروحها النجسة... هل توافقون على ذلك؟

صمت الجميع، ولم يرد أحد؛ فأكمل، وهو يتقدم منهم وسط ترقب واضح من جانبهم:

- كل ما أريده هو الأمان المتبادل، لست غبيًا لأسبب الأذى لأحد منكم، وفي المقابل سأحميكم وقت ما تريدون، الصفقة واضحة؛ تنازلوا وتناسوا ولكم الحماية، والقوة... هي الصفقة الرابحة على مدار التاريخ، وستنجح إلى أبد الدهر... موافقون؟

لم يجد سوى الصمت، والنظرات المتبادلة، وبكاء صامت من أعين محمدين المشلول في مكانه، ليصرخ فيهم ثانية بصوت أعلى مخيف، وكأنَّه يستحثهم على الرد بالإيجاب: موافقون؟!

تعالت فجأة صيحات الموافقة، هم ليسوا أغبياء لمواجهة ساحر شل أحدهم بإشارة من أصبعه، ليعلن الخوف نصره في المعركة، ويعود الرجال منتصرين منتشين بفوز لم يتحقق بالأساس، وإن كانوا يقنعون أنفسهم بغير ذلك، فهم مهما كانوا لديهم كرامة، ولو مزيفة عليهم إرضائها.

بالطبع لا يريد طه أن يضع أذيالًا خلفه تؤرقه، فأمه ماتت بسكين مسموم، وما أسهل أن يحدث معه ذلك، لذا قرر، ونفذ مباشرة بعد أن ترك الأهالي الجبناء محمدين أمام بيته، ليخنقه وهو يهمس في أذنه بصوت ناعم: "إنِّي أسف"، ليسقط جثة هامدة بعد أن فك السحر عنه، ويسحب جسده إلى الداخل ليروي ظمأ بؤرة النفاذ.

الأيام التالية كانت وجه السعد بالنسبة إلى طه، الأقنعة سقطت، والحقيقة

أزاحت أي غموض حوله ليسود فقط الواقع بوجهه القبيح، لا أحد يسأل عن شوال الخيش الذي يحمله طه، ويدخل به إلى القرية، وتتدلى منه يد، أو قدم أحد، لا يعنيهم هذا الآن بقدر ما يعنيهم الأمن الذي وعدهم به هذا الرجل.

الاستسلام مرة يعني الاستسلام التام، وهم فعلوها حين رضخوا له، لذا لم يتمسكوا بمن أراد الرحيل من القرية، ليتبقى فقط العشرات بعد أن كان هناك مئات البشر.

لم يسألوا يومًا كيف زادت أشجار الغابة، وتشابكت أغصانها، أو ما يعيش فيها حين يسمعون أصوات الصراخ يتصاعد من داخلها، ليمر عامين، وتحدث صدمة، ولكنَّها لم تؤثر فيه بشكل كبير.

مات طفله الأخير النحس، دهسته سيارة، وهي ترجع إلى الخلف، ولم ينتبه له السائق ثم هربت، سمع صراخ ابنته شوق، وذهب ركضًا ليجده كتلة من اللحم... لكن لا يهم فلديه أربعة غيره.

ولكنه حتى يكون السائق عبرة لمن يعتبر استقل الدراجة البخارية الوحيدة في القرية، وذهب خلفه مسرعًا، وقتله قبل وصوله إلى القاهرة، اللعين لم يكن لديه فرصة حتى للدفاع عن نفسه؛ لأنه تلقى رصاصة في رأسه قلبت سيارته، وجعلته يذهب إلى الجحيم.

عاد، وتناسى الأمر فالحوادث تقع، ولا أحد من المسؤولين الذين يساعدهم بقدراته سيسأله عن ما حدث كما أنَّه لا يوجد شهود على فعلته.

مرت السنوات، يختفي أحيانًا، ويعود، وأبنائه يكبرون، ولكنَّهم تحت سيطرته التامة، يعترف الأهالي المتبقين أن الأبناء لم يؤذوهم، بالطبع يعلمون أن السبب هو المعاهدة غير المكتوبة بينهم، وبين العاصي.

المستودع

هل يمشط الجبل؟ فكر حسام في هذا، ولكن الأمر بحاجة إلى رجال كثر معه، عليه انتظار وصول القوة من القسم، والمشكلة أنَّه لا يمكنه استعجالهم؛ لأنه لا يوجد لديه شبكة في هاتفه، حتى اللواء شعراوي لم يتصل به منذ ساعة!

لماذا يرى آثار دماء على الأرض، وكأن هناك من نظفها؟!

ركع على الرمال، وتحسسها ليجدها جامدة بعض الشيء، كان عليها دماء ثم تم تنظيفها، ولكن من المستحيل أن تكون هذه الدماء أمس، أو حتى أمس الأول... إنَّها منذ فترة.

أخذ يتنقل من منطقة إلى أخرى، هناك رمال كثيرة بهذا الشكل، يبدو أنه حدثت مذبحة هنا بالفعل، وهذا بالتأكيد سر المقابر الموجودة خلف أشجار الكافور.

لفت نظره وجود بيت ضخم مبني من الخشب يبدو أنَّه مستودع لتخزين غلال، أو ما شابه، لم يفتش فيه من قبل، ولن يضير أن يتفقده على الأقل ليحصل على بعض الظل.

حاول فتحه فلم يستطيع بسبب القفل، فأطلق عليه رصاصة، ودفعه بقدمه ليدخل.

أمامه سيارة محترقة!

يبدو أن أصابها انفجار، أو لغم!

تابوت العهد

لم تظهر على طه علامات السن، أو الكبر رغم مرور السنوات، وكأنَّه يتحدى الزمن، شامخ ذو نظرة صارمة كما عرفوه، ولكنه لم يزداد شرًا وكأن جل هدفه شيء آخر لا يعلمونه.

استطاع في سنوات مكوثه بالقرية أن يصنع علاقات قوية بالسلطات، والقرى المجاورة، يعلمون بالطبع أنَّه ساحر، دجال، يتخوفون من قوته، وسطوته، ولكنَّه كان يخدم الكثير منهم خدمات لا داعي لذكرها، ولكنَّها تتلخص في التخلص من معارضين لبعض العمد، أو تسهيل ترقية شخص ما، أو مساعدة زوجة في الإنجاب، وكل هذا بدون مقابل فهي بدون جهود تقريبًا من جانبه فهو تخطى مثل هذه القدرات الصبيانية من وجهة نظره.

لا يعلمون أنَّه يسعى للوصول إلى تابوت السر، أو العهد الذي كان يفكر ليل نهار فيه، كان يقضي أوقاته في الغابة، أو البيت الخشبي يدرس خرائط غريبة ويجمع كتب سحر مهترئة صفراء أوراقها، المعروفة منها والباطنة، كما يتحدى كيانات وكائنات لم يسمع عنها إنسان، ويقتل أخرى بعد أن يستجوبهم دون جدوى.

لم يعرف أنَّه سمعته أصبحت سيئة لدى جميع العوالم المرتبطة بالأرض، الكل أصبح يتحدث عن (العاصي)... فالكل شاهد ما جرى تقريبًا، أو سمع عنه.

الأمر يشبه الطبقات، فبعض العوالم تمس ترددات عالم البشر، وهذا المس البسيط يجعلهم يسمعون، ويرون ما يحدث ولكن بدون تدخل، ولكن ليس كل العوالم؛ لأن هناك من تختلف تردداته عن عالم البشر، ولكنها أقرب إلى عالم آخر، وهكذا.

ولكن بالنسبة إلى طه كان الجميع يعرفون ما يريد، ويفكر فيه، حتى أن بعض الكيانات تحالفت لمساعدته وأخرى للوقوف ضده إن نجح في الوصول إلى تابوت السر، فهم يرون شروره، ويعلمون أن دورهم سيكون قادمًا لا محالة لو نجح في مخططه... فمن هم ليأمنوا للعاصي الذي قتل أبوه بعد أن وثق فيه!

بمساعدة بعض الكيانات في عوالم أخرى، علم بعد مرور سنوات من العناء مكان تابوت العهد، ولكن المفاجأة أنه من المستحيل الحصول عليه؛ لأن حوله حراسة كفيلة بقتله، وجميع من يساندوه!

قيل له إن التابوت له مهمة أخرى، وليس مكتوبًا له أن يناله، وعلم أن الحراسة ليست كأي حراسة بل يقوم بها مجموعة من أعتى قبائل الجن، ومكانه غير مرئي بل متغير حسب وجود المتاح ذاته... لتبسيط الأمر، التابوت رغم أنه يحمل ألواح كُتب بها تاريخ الأرض، وبها قوى لا يقدر عليه شخص، إلا أن وزنه كوزن ريشة، مرتبط بشكل خاص بمفتاح، أينما وُجد هذا المفتاح كان في محيطه التابوت.

أما المفتاح ذاته فهو داخل التابوت، وأسفله ورقة العودة الأخيرة.

جن جنونه، وغضب وزادت شراسته، ليس بعد كل ما فعل سيجني الوهم!

حاول أن يفاوض بعض الجن ليكونوا واسطة بينه، وبين الحراسة ففشلوا لسنوات، فيما عدا واحد منهم وافق شريطة شئ واحد، إمَّا تضحية كبرى بالعشرات، أو التضحية بدمه، أبنائه!

أما المقابل فليس حتى ليس التابوت كاملًا بألواحه ومفتاحه، بل الورقة الأخيرة

فقط ونصف المفتاح، الورقة يحتاجها، ولكن ماذا سيفعل بنصف مفتاح فقط للتابوت!

لا يهم بالنسبة له هذا، فالورقة هي المطلوبة، ولكن هل سيضحي بالعشرات، أم سيقتل أبنائه؟!

يقتل أبناء العاصي الذين تخطت أعمارهم 25 عامًا بقليل!

هو بدون قلب، ولا يوجد بداخله إلا الشر، يعترف بذلك، لكن هؤلاء كانوا جيشه المنتظر كما أنه بدأ تعليمهم السحر قبل أعوام قليلة ليكونوا سندًا له للسيطرة على باقي العوالم!

الاختيار ليس صعبًا كما يتصور... سيفعلها، ولكن أولًا عليه تنفيذ شيء آخر!

هناك بيت آخر بناه قبل سنوات على الطرف الثاني من الغابة ليتدرب فيه، ويقدم التضحيات، وطقوس الظلام وأحيانًا استجواب الكائنات، ثم يعود إلى البيت الأول ليسيل الدم عبر فتحات صغيرة في الأرضية الخشبية حفرها بعناية لتتسرب إلى تربة بؤرة النفاذ وترويها، البيت الآخر في منطقة بعيدة محاطة بالجبال.

على الفور ذهب بأبنائه إلى هناك، وقال لهم إن هذا مكان تدريبهم الجديد، سيعيشون هنا يومان أيام فقط وحدهم يتدربون، وهو سيذهب في رحلة إلى مكان ما؛ لأن لديه مهمة لن يقدر عليها سواه.

تعودوا منذ الصغر على رحلاته هذه فلم يمانعوا، وإن رأى في عيونهم نظرة تعجب من وجودهم في هذا البيت الجديد، ولماذا لم يظلوا كما العادة في البيت الأول!

عاد إلى القرية وحده وقال للأهالي إنه سيرحل عن المكان، ليشاهد نظرة سعادة بالغة وأمل بالخلاص منه في عيونهم لكنه تجاهلها، وأكد لهم أن كل المطلوب منهم فقط هو مشاركتهم إياه في ترنيمة جماعية سيعلمها لهم اليوم وغدًا، وتلقى بعد غد أمام الغابة حتى يزيل السحر عنها، وتعود قريتهم كما كانت.

بعضهم صدق، والآخر لم يصدق بالطبع ولكن الموافقة كانت بادية على الوجوه المكفهرة، سيفعلون أي شيء لتعود حياتهم إلى ما كانت رغم خضوعهم، واختيارهم لجانب الشر.

يبدو أن هناك بذرة ما في نفوس الجميع حتى من أسودت أرواحهم؛ ترويها عناية الله فيهدي بها من يشاء وتنبت، وتتفرع حتى تتوغل في الروح فتُعيد صفائها.

بدأ بالفعل معهم مرحلة تعليمهم ترنيمة التضحية الكبرى، كلمات غريبة بلحن أغرب، وكأنَّهم يغنون أوبرا جنائزية بطبقات صوتية معينة، تتعالى تارة وتنخفض أخرى. لا يعرفون بالطبع الأوبرا، ولكني أسهل الوصف لنصل إلى صورة ذهنية معروفة.

في اليوم الثاني وبعد تدريبات شاقة حتى لا يخطأ أحد منهم في حرف واحد، اصطف عشرات الأهالي أمام الأشجار، ممسكين بأيدي بعضهم البعض، رافعين رؤسهم إلى الأعلى كما أمرهم العاصي، منتظرين إشارته للبدء، ولا يعلمون ما سيحدث بعد ذلك، الأهم أن يظلوا أحياء بعدها، وأن يرحل عن المكان كما وعد.

استعد ووضع أوراق الحضور، والتضحية داخل الغابة، ليخرج الحاصد عبرها وسط الأشجار.

ثم وقف أمامهم مرتديًا عباءة سوداء تمامًا مفتوحة، وعلى جسده وشوم رسمها قبل قليل تمثل العهد بينه، وبين من سيأتي إليه بالورقة الأخيرة.

أعطى لهم ظهره، وظل ناظرًا إلى السماء وعند وصول الشمس إلى نقطة معينة في كبدها رفع أيديه إلى الأعلى، وبدأ يردد الترنيمة التي يحفظها عن ظهر قلب، وخلفه تعالى صوت الأهالي بكلمات غيرها حفظوها هم أيضًا.

الدقائق تمر وطبقات الصوت تتعالى والأكف تهتز، والأجساد ترتعش ترقبًا

وخوفًا، حتى خرج ظل أسود ضخم لا يدرون من أين أتى وصعد إلى الأعلى، وكأنَّه دخان حريق ثم بدأ يلتف حول الأشجار بسرعة غريبة.

كاد الأهالي أن يفقدوا صوابهم، ويهرب بعضهم ولكن تذكروا تحذير طه، من سيفعلها سيموت بأبشع وسيلة، فأغمضوا عيونهم، واستمروا في الترديد.

أمَّا الظل فتوقف فجأة ثم انطلق في الإتجاه الآخر من الغابة، إلى حيث أبناء العاصي.

التضحية التي اختارها!

***

لم يتخيل أحد أن يختار طه أتباعه، ويضحي بأبنائه، ولكن ما كان يفكر فيه طه مختلف بعض الشيء عن ما قد يتخيله أحد.

أهالي القرية اكتسوا بسواد القلب والروح، شاهد ذلك داخلهم، وأصبحوا أشد شرًا من الماضي، وأقوى، ولكنهم بشر، ليسوا كما أبنائه مزيج من الإنس والطاقة، هو انقلب على والده وقتله، فما الذي يضمن له أن لا يفعل معه أبنائه ذلك؟!

يؤمن دومًا بأن السيطرة على قوي لا يعلم حجم قوته أسهل ألف مرة من قوي يدركها، فالأول سيتخوف من القوة، وسيختار أن يكون تابعًا، أما الثاني فسيتمرد ببساطة حين يريد.

هو لا يحب المجازفة، فالهدف الأسمى أمامه هو السيطرة، وليس الأبوة والحنان، والمشاعر الإنسانية الضعيفة التي يبغضها.

ولكنه قرر تنفيذ لعبة أخرى، ربما عواقبها سيدفع ثمنها في المستقبل، وربما لا.

جعل الغابة سجنًا غير مرئي، وكتب طلاسم على الصفوف الأخيرة من الأشجار لتمنع دخول، وخروج أي مخلوقات غير المرئية أو بشرية، بحيث لا يمكن للخادم

الحاصد المسؤول عن عملية التبادل أن يخرج منها، وحينها سيبحث عن ضحايا، ولن يجد غير أبنائه فيفهم أنَّهم هم الصفقة، والاختيار ليتم التنفيذ.

ثم بعدها وحين يستقر الوضع وتمر ساعة على الأقل سيفتح البيت الخشبي الأخر؛ ليجد الأوراق في صندوقه الخاص قد اكتملت؛ لأن الورقة الأخيرة لن تظهر إلا مع ما يكملها طالما تحررت.

ابتسم وهو يستعيد خطته في رأسه، لتمر دقائق، وينظر إلى الأهالي الذين بادلوه النظرة دون تعليق ثم عادوا أدراجهم إلى القرية.

لقد نفذوا الجزء الخاص بهم وحان، وقد تنفيذ وعده!

الخدعة

بمزيج من نشوة النصر، والشر البادي على وجهه، فتح طه باب البيت الخشبي، ربما سيفتقد أبنائه خاصة الفتاة التي كانت تشبه أمها العاهرة، ولكن لا بأس.

يمكن ببساطة أن يفوز بغيرها.

لماذا يحس أن هناك شيء خاطئ؟!

لماذا صندوقه الخشبي المكتوب عليه تعويذة الإخفاء ظاهرًا!

كان به أوراق العودة، ولكنَّه ليس به سوى ورقة بيضاء.

ورقة لا تحمل أي كلمات، بل توقيع فقط!

توقيع مفهوم، ويعرف صاحبه... بل أصحابه...

توقيع (أبناء العاصي)!

شوق

منذ ولادتها، وكان يبدو على شوق الذكاء، وكأن دمائها البشرية اندمجت مع طاقة والدها طه فكونت مزيجًا لا يعمل بشكل جيد إلا لدى الإناث!

أشقائها الأربعة ليسوا أذكياء بقدرها، ولهذا لم يكن صعبًا عليها أن تقودهم هي دون أن يعلم الأب المشغول بأشياء أخرى أكثر أهمية من وجهة نظره.

كانت بالنسبة لهم أخت، وصديقة، وأم فهم حُرموا من كافة أنواع الحنان، ولكن وجود شوق بجانبهم كان يكفيهم.

متى عرفوا الحقيقة؟

بالصدفة البحتة، فهم لم يصلوا بعد إلى مرحلة معرفة أن هناك عوالم أخرى غير الجن، والملائكة، والشياطين، والقرين، ولم يظنوا يومًا أن هناك عوالم غيرها ولكنَّها على ترددات مختلفة، بعضها بحاجة إلى تضحيات من الدم، والروح، وأخرى يمكن الولوج إليها عبر منافذ مادية مثل بئر منسي، أو كهف في جبل لا تصله أقدام، أو عوالم من الطاقة تقود إليها منافذ، وبحاجة إلى تضحيات وهي الأقوى ولهذا الوصول إليها أكثر صعوبة.

البداية كانت بعد أن أتمت عمرها الـ15... بدأت تحلم بالبيت الخشبي، وصراخ ينادي بالخلاص!

هي تعلم أن والدها ساحر والجميع يهابه في القرية ويهابونهم كذلك، ولكنها لم تراه يفعل شيء مريب، أو يزهق روحًا، ولم تكن حينها تعلم بشأن البيت الخشبي الآخر، فقررت أن تتأكد من الأمر بتفتيش البيت جيدًا، لتجد بعد عناء أيام فتحة صغيرة للغاية مغطاة بمسمار يخرج بسهولة من الأرض كغطاء!

ليس مسمار واحد بل 6 موزعين بعناية في رقعة واحدة، وكأنَّه يتم صب شيء في الفراغ الذي يحتلونه!

الخشب يسهل خلعه، وتركيبه فلم تنتظر بل نادت سريعًا أشقائها الذين ينامون في غرفة واحدة سويًا أن يحضروا لمساعدتها، ففي جميع الأحوال والدهم ليس هنا، وأمامهم وقت للمعرفة.

وسط نظاراتهم المتعجبة طلبت منهم خلع الألواح ببطء، وحرص كي لا ينكسر أي منهم، فحاول أحدهم معرفة السبب فأشرت له بالصمت بحسم رغم سنها الصغير ليصمت، ويخلع الألواح مع إخوته.

الرمال تظهر من أسفل الخشب، رمال ولكنَّها طينية بعض الشيء، بها رائحة غريبة تظهر عند الاقتراب منها وشمها، أشارت لهم بالحفر فتمنع أحدهم فحدقته بنظرة مخيفة فرضخ، وبدأ يحفر...

هناك جمجمة تظهر!

البيت الخشبي كان به تضحيات، وأبوهم قاتل يقدم تضحيات بشرية. هي تعتبر طفلة ومهما كان تكوينها، وبرائتها تواجه الظلام الذي ينتظرها مستقبلًا، لذا طلبت منهم أن يعيدوا كل شيء كما كان وأشارت إليهم للجلوس والحديث.

- والدنا ليس كما كنا نظن.

رد كبيرهم عاصم:

- عرفنا.

- أحلم بكوابيس منذ فترة لأرواح تريد الخلاص.

نظر الولدين الذين من سنها إلى بعضهم البعض، وقالوا: ونحن كذلك!

أما الأكبر سنًا بفارق عام واحد فأكدوا أن هذه الأحلام تزورهم قبل عام بشكل متقطع.

سألتهم وبدت على وجهها جدية لا تناسب سنها: أنت الأسبق بعام، وما يسري عليكم نمر به بعدكم... هل لاحظتم شيء آخر؟!

رد عاصم، وهو ينهض بسرعة إلى خارج البيت ثم عاد بعد دقائق قليلة، وفي يده ورقة مهترئة.

- هذه وجدتها قبل فترة أثناء اللعب أمام البيت، يبدو أن والدي نساها، وهو يمارس طقوسه.

التقطت منه الورقة، ونظرت فيها لتجد أن بها كلمات غريبة متقاطعة، وأشكال لكائنات لم تتخيل وجودها... ورقة سحر بامتياز!

نظرت لهم بحسم، وهي تضع الورقة في جيب جلبابها المنزلي: يبدو أن لدينا مهمة خلال الفترة المقبلة.

نظروا لها بتعجب، وسألوا: ما هي؟

أجابت، وهي تنهض منهية الجلسة:

- نتعلم

الرحلة

يبدو أن الأحداث تسير كما يريدون، وأفضل، فبعدها بأسابيع قليلة بدأ والدهم تعليمهم السحر، وإدخالهم هذا العالم الواسع للغاية، لم يفرق بين الفتاة، والأولاد، الكل يتعلم، ويمارس، ويُعاقب.

تعلموا بعدها كيفية إخفاء الأشياء المادية، وإظهارها، ليس إخفاء إنسان بالطبع، ولكن أوراق، أو صناديق؛ لأنها تعاويذ تتعلق أكثر بتغيير ترددات المكان ذاته فيتغير ماديته، ولو حدث هذا لبشر لتفتت ذراته ومات.

مارسوا السحر، وتعلموا المزيد والمزيد منه بدون علم والدهم لسنوات، كانوا يتدربون ليل نهار، وكأنَّهم يستعدون لشيء ما، هكذا قالت لهم أختهم، وهكذا نفذوا دون رفض، إلى أن وجدوا 3 أوراق فقط في صندوق خشبي مطلسم لمنع ظهوره، مخفي عن عمد على يد والدهم.

الفضول غلبهم فقرأوا، وعلموا ما فيه، وعرفوا قصة تابوت العهد، وأنَّها أوراق العودة، وينقصها ورقة واحدة، ولكنهم لم يعلموا مكانها ليلجأوا إلى حيلة أخرى بشرية أكثر.

التصنت!

على مدار اليوم كانوا يراقبون والدهم دون علمه إلا لو سافر خارج القرية

حينها ينتظرون العودة ليعلموا ما كان يفعله، أحيانًا يعلمون، وأحيانًا كثيرة لا، ولكن الصفقة مع أحد حراس التابوت عرفوها.

كان في الغابة يتحدث مع رسول عنهم، خيره بين تضحية كبرى، أو أرواح نسله.

لم يتخيلوا أن يختار الأهالي، ويضحي بهم، ولكنَّهم عرفوا حين أمرهم بالذهاب إلى البيت الخشبي على الجانب الآخر، وحين تسلل عاصم بعد أن تركهم والدهم، ودخل إلى البيت الخشبي لإحضار شيء ما سريعًا ثم خرج ليجد والده أمام الغابة يجهز الأهالي، ويتلو عليهم ترنيمة التضحية، والتبادل، حينها فقط تحركوا سريعًا!

وشموا أجسادهم بطلاسم الحماية مثل التي شاهدوها مخفية على بعض الأوتاد حول الغابة، طلاسم تمنع دخول، وخروج أي شيء، وهي كفيلة بحماية أنفسهم من معرفة مكانهم مهما حدث، واستغل والدهم قدراته السحرية، ولكنَّها لن تمنع بالطبع الحاصد من أخذ أرواحهم، لتتبقى فقط الخدعة الأخيرة!

الورقة الأخيرة تظهر مع البقية فقط، وليس وحدها، هم تعلموا أيضًا، وعرفوا هذه المعلومة، وقد تكون في صالحهم.

في الليلة الثانية لهم في البيت الخشبي، وقبل التنفيذ صباحًا تسلل عاصم إلى بيتهم القديم بعد مسيرة لساعات، وسرق الأوراق الثلاثة، وعاد غارقًا في العرق منفذًا مهمته.

لكن كيف يوهمون طه أنَّه نجح في خدعته؟

الأمر سهل، فكما قلت سابقًا كانت شوق داهية بحق، ففي جلسة واحدة استدعت الرسول الذي كان في الغابة، واستجوبته.

ميزة هذا الرسول أن مهمته هي التصنت، ونقل الحديث، والأخبار، وسرد ما يرى ويسمع وكأنَّه (رويترز) العوالم!

عرفت منه أن والدتهم بشرية، ولكن والدها ليس كذلك، بل نصفه من عالم آخر، وقال لها الرسول، وهو يتألم من التعذيب بالعلامات التي رسمتها على الأرض أن ما فعله والدهم العاصي أصبح مضربًا للأمثال في الخيانة، والخسة، وأكد لها أن هناك خوف واضح منه، ولكن لا أحد يمكنه التدخل فيما يفعله؛ بسبب العهد القديم.

تعترف باكية أمام أخوتها أنَّها لم تتوقع ذلك، ولم تتخيل أن والدهم يحمل شر كهذا، لتقرر أن تلعب هي الأخرى لإنقاذ نفسها وإخوتها، قررت التحالف مع العالم الآخر الذي جاء منه والد طه.

عالم عزازي!

قبر مغلق

أخذ حسام يفكر في سر انفجار السيارة، هل وقعت هنا عمليات إرهابية مثلًا؟!

تفحصها سريعًا ليخرج من المكان، لقد انفجرت بشكل عنيف للغاية، وكأن أطلق عليها صاروخ، وليس لغم فالانفجار من الجانب، وليس من الأسفل!

صاروخ في الكَفْر!

قبل أن يتحرك وجد نفسه داخل قبر مغلق!

كيف علم إنَّه قبر؟!

لأن الرطوبة كانت عالية، وهناك عظام بجانبه، ولا يرى أي شيء... تحسس فقط بيده ليجد العظام الصغيرة التي تآكلت بفعل الزمن، وقبل أن يصرخ وجد صوت يهمس في أذنه.

صوت، وكأنَّه يأتي من أعماق الأرض:

- كبيرهم هو الخلاص، لا تثق في أبناء العاصي فهم اللعنة.

مصيرك كما غيرك هنا تأكل الديدان جسدك، ينخر فيها الزمن لتصبح من الماضي، وعليك أن تؤدي دورك كما يجب... عليك التسليم لكبيرهم...

أبحث عنه فهو ينتظرك، ولكن...

لا تأمن لأبناء العاصي.

استفاق مما يحدث ليجد نفسه واقفًا في مكانه!

سيصيبه الجنون في هذا المكان، عليه أن يخرج من هنا بسرعة، وإلا سينتحر بنفسه!

لم يمهل نفسه للتفكير بل خرج بالفعل سريعًا، وفتح باب المستودع متجهًا إلى الكَفْر ثم أمسك رأسه فجأة من هول ما رأى!

لكن علينا التوقف هنا لنفهم المزيد مما حدث!

صفقة

بالنسبة إلى أبناء العاصي فالوضع يزداد تعقيدًا، ولكن لا بديل أمامهم، لديهم يومان فقط، وينفذ طه مهمته، ويضحي بهم.

تعلم جيدًا أن لولا جهل الأهالي لنفذ والدها العملية في الحال، ولكن خوفه من أن نطق واحد للترنيمة قد يُفشلها، وهو لا يريد المجازفة، لم يكن يعلم أن حرصه هذا أعطى لهم فرصة للنجاة.

لا تعرف الوسيلة للتواصل معهم سوى الثغرة التي يخفيها والدها، أو عليها انتظار ظواهر فلكية معينة كالكسوف، أو شيء تعرفه هي، ولا تظن أن والدها نفسه يعلم عنه شيء ولكن أخبرها عنه الرسول الذي استجوبته!

قال لها إن التواصل مع العالم الثاني بغض النظر عن اقتراح الظواهر الطبيعية، يتم إما عبر ثغرة طبيعية أوجدتها الطبيعة، أو تُصنع على يد البشر، ولكن بشروط معينة، وتضحية لا يقبل بها أحد، بالروح فقط.

الروح: هي التي ستكون في العالم الآخر بدون جسد، عالقة تفعل ما تريد، ولكن لا يمكن أن تأذي، أو تؤذى.

الأمر يشبه الإسقاط النجمي، أو الإسقاط الأثيري، وهو تفسير افتراضي سيظهر بعد سنوات على يد مختصين في علوم الماورائيات لحالة الخروجِ من الجسد وذلك بافتراضِ أن هُناكَ هيئة نجمية تنفصل عن الجسد الفيزيائي قادِرة على السفر خارجه.

المطلوب فقط أن يضحي أحد بروحه مقابل تواصل آخر غيره، بشرط أن يكون برضاه التام، ثم يتم صنع دائرة بدمائه مكتوب داخلها اسمه و7 كلمات تجمد العهد الذي يمنع التواصل بين العوالم، ومن ثم يتم فتح الثغرة التي تستمر لساعة واحدة فقط ثم تُغلق ثانية، وتُسحب الروح العالقة أي روحها هي.

استغرق اقناع ابنة العاصي لأخواتها وقتًا استمر ساعات، الخوف يسيطر على الوجوه فهم سيضحون بأرواحهم، لتذهب إلى هناك، بل لماذا سيضحون جميعًا إن كان المطلوب هي روح واحدة فقط... لا يعلمون ولكنها طلبت منهم الثقة فيها فقط فهي تعلم ما تفعله جيدًا!

يعلمون أن جسدهم سيكون مجمدًا كما غيبوبة إلى الأبد لو لم تجد حلًا، ولكن كان لديها الحل كما تقول، وهو السماح للكيانات بالاستحواذ عليهم!

تريد التضحية بأرواح إخوتها مقابل دمج كتلة من الطاقة في أجسادهم، لتكون لديهم روح من عالم آخر!

فعلتها شوق...

في الصباح، ومع قرب تنفيذ والدهم للعملية، والتضحية بهم، اصطف الأخوة في البيت الخشبي، ونظروا إلى بعضهم البعض، وكأنَّها المرة الأخيرة.

من يدري لعلها كذلك، ويفشلون، ولكن بالنسبة لهم هم أموات بالأساس بعد أن قرر والدهم التضحية بهم فلن يضيرهم شيء لو فشلوا.

ببرود أعصاب رفعت خصلات الشعر الساقطة على وجهها، ورسمت على جبتها وشم الدليل، وهو الخاص باختيارها لعبور الثغرة، ولا يُمحى بالزمن مهما فعلت، وهي ضريبة أرضتها، ثم جلست داخل الدائرة، وهم حولها ليغمض الجميع أعينهم، ويبدأون طقوس الاتصال بالعالم الثاني.

مرت الدقائق، ولم يحدث شيء!

هل فشلوا؟!

استمروا مرددين الطقوس، أمَّا هي فكانت تفكر في مصيرها، ومصير أخوتها... هي تحبهم بالفعل، وهذه مشاعر غريبة بالنسبة إلى بشرية فكيف يعقل ذلك؟!

هل لأن علاقتهم بالبشرأقرب؛ لأنهم من الجيل الثالث بعد عزازي، ربما ولكن الأهم الآن هو أن....

لم تكمل تفكيرها بعد أن شملها ألم رهيب، ونيران أحست، وكأنَّها شبت في روحها، وفجأة اختفت الماديات حولها ليبدو وكأنَّها في عالم من الطاقة فقط.

ترى طاقة كل شيء حولها!

المنضدة الخشبية طاقتها زرقاء بسيطة للغاية!

هناك أربعة أجساد أمامها ساقطين على الأرض هم أخوتها ينبعث منهم هالة خضراء متذبذبة بشكل غريب.

همت بالخروج من المكان بسرعة، فوجدت نفسها أمام البيت!

هل تسير الحياة في العالم الآخر بالتفكير!

(نعم)... سمعت إجابة تأتي من خلفها فالتفتت لتجد أمامها رجل يرتدي بدلة!

رجل شاهدته قبل فترة في القرية جاء زائرًا لخطبة فتاة ورحل في نفس اليوم، ولكنَّه علق في ذهنها لأنَّها لم ترى من قبل رجل يرتدي بدلة!

قالت مذهولة: أنت!

أجاب الرجل، وهو يقترب منها:

- لا تتعجبي... أنا ما تريه في عقلك فقط... عالمنا يتشكل بحسب ما نريد... المظهر الخارجي فقط هو ما علق في ذهنك فكان الخيار الأنسب للحديث بيننا.

لم ترد، وإن حاولت استيعاب ما يقول، ولكن لا وقت لديها، ليقاطعها الرجل أمامها:

أنتِ لم تتعلمي بعد السيطرة على أفكارك في عالمنا، وبالتالي يمكن معرفة ما جئت له، وما تفكرين فيه الآن... لا تقلقي من الوقت فهو أبطئ مما قد تتخيلين هنا.

ردت بثقة: طالما تعلم ما جئت له أريد منكم مساعدتي.

- العهد يمنعنا؟

- يمنعكم من فتح ثغرة، وليس المرور خلالها.

- يمنعنا من دخول عالمكم بالأساس.

- إخوتي سمحوا لكم بذلك.

- والمقابل؟

- مساعدتنا، وإنقاذنا من والدنا.

- العاصي؟

- سمعت هذا اللقب من قبل... أهكذا تسمونه؟

- نعم، وهو نفسه يعلم أنَّه أصبح لقبه.

- ولم تفكروا في الانتقام منه؟

- هو من انتقم من والده، وعزازي أَخْطأ، ودفع الثمن، فلماذا ننتقم؟

- ألا تعلم أن والدي يجهز للسيطرة على عالمكم؟

ارتسم التعجب على وجه الرجل ورد:

- كيف؟!

فكر أنت... يريد فتح ثغرة، ويفعل المستحيل لهذا بل، وسيضحي بأبنائه لأجلها... تعتقد ما السبب؟!

لم يرد الرجل، لتضيف، وهي تقترب منها:

- دعني أخبرك... يريد تكوين جيش من أتباعه ثم فتح البؤرة، والسيطرة عليكم.

ضحك الرجل ساخرًا فاهتزت ألوان الطاقة في المكان حوله، ليرد:

- لن يقدر على السيطرة، أنتِ لا تعرفين مقدار قوتنا.

أجابت بثقة:

- بل أعرف جيدًا، فأوراق العودة الكاملة تعطيه السيطرة الكاملة على مخلوقات من أكوان عدة أنتم لستم منها، ولكن يمكنه التحايل بطريقة أخرى يسيطر بها عليكم.

تعجب الرجل:

- كيف؟!

- لأن كاتب العهد نفسه قادر على كتابة آخر جديد!

صُدم الرجل، وهو يعيد جملتها الأخيرة:

- كاتب العهد!

قالت:

ألا تعلم أن العهد مسؤولية من شهد، وكتب؟! أي المسؤول عنه، ويحرسه هو كاتبه، ويكون له القوة، والسلطة على الأطراف إلى أن يُفسخ، أو يتغير؟

وافقها، وهو يترقب ما ستقول تاليًا:

- نعم نعلم ذلك.

قالت بابتسامة باردة:

- ماذا لو أجبر أبي كاتب العهد على كتابة آخر جديد يسمح له بالنفاذ إلى باقي العوالم، وإدخال مخلوقات أخرى إلى عالمكم لإخضاعكم بدلًا عنه؟!

رد الرجل سريعًا مستنكرًا قولها:

- لا... لا يمكنه ذلك.

تراقصت الطاقة حولها لتعلم أن هناك غيره يستمعون إلى الحوار الجاري، وهناك قلق بدأت تسببه بوجودها، لتضيف:

- يمكنه، أوراق العودة لا تجعله يسيطر عليكم، ولكنَّها تجعله يتحكم في إيوخ.

ثم مالت برأسها نحوه، وداره حول نفسها، وهي تنظر لكتل الطاقة المتناثرة:

أليس هذا اسم كاتب العهد يا سادة العالم الآخر؟!

صمت تام حل على المكان، قطعته بقولها:

- هي ثغرة لم ينتبه إلا أحد، وربما لولا قراءتي لعلم الباطن، وأجناس العوالم، وأنسالها ما علمت، لا أعلم إن كانت مقصودة أَمْ لا، ولكنها ببساطة تهدد عالمكم.

سكتت، ثم أضافت:

- الوقت يمر، أمامكم دقائق فقط لتحديد المصير، والصفقة كما يلي، 4 طاقات تُعيد إخوتي الذين ضحوا بأرواحهم مقابل أن أتواصل معكم، ولكن عليكم تنفيذ ذلك الآن؛ لأن هذا يعني أنه مرت ساعة على الأرض بحسب حسابتكم.

سألها: لماذا ساعة؟

- لأن والدي ينتظر أن يقايض أرواحنا بالورقة الأخيرة من أوراق العودة، وأريد رؤية وجهه حين ينفذ الحاصد الأمر، ولا يجد أرواحنا في الغابة، ثم يعود ليطمئن على نجاحه فيعلم أنَّه فاشل.

قبل أن تضيف أي كلمات أخرى استيقظت فجأة لتجد نفسها مستلقاة على الأرض في البيت الخشبي، وأمامها ينهض اخوتها يتحسسون أجسادهم.

ابتسمت، وقالت بثقة:

- ألم أقل لكم أن تؤمنوا بما أفعل.

ثم اتسعت ابتسامتها أكثر، وأكثر، وهي تضيف بفخر:

- لقد نجح الأمر.

ثم استدركت:

- هيا سريعًا لا وقت لدينا علينا الخروج من الغابة الآن قبل أن يجن جنون والدنا، لينظروا إلى بعضهم مؤكدين قولها، ويخرجون بسرعة.

أثناء الخروج كان كل واحد منهم يتحسس جسده، يحسون بطاقة غريبة تسري في أوصالهم، وكأنَّهم عبارة عن موصلات كهربائية، بالتأكيد سيتأقلمون مع الوضع، فهو يشبه حشو ضرس؛ سيكون الشعور غريبًا في البداية، وتتحسسه بلسانك ثم يكف عقلك عن الشعور بغرابته فتنسى أمره.

الأمر يشبه تبديل محرك سيارة، ولكن لإنسان، في الماضي كان جسدهم بطاقة روح البشر، ولكن بدلًا عنها أصبحت الطاقة هي المحرك، وهي تعتبر أيضًا صورة أخرى من الروح، ولكن بالنسبة إلى العالم الثاني.

الشعور مختلف، طاقة أكبر، ومعرفة أكثر بكثير مما يتخيلون، معرفة ببواطن القوة، وليست معرفة علمية.

الرمال حارقة، وأمامهم جبل ضخم هو ملاذ آمن للاختباء في كهوفه إن كان به كهوف، وستتبقى مشكلة المياه، والطعام، وهي سهل التغلب عليها بوجود الغابة،

فطالما ترتوي الأشجار فهناك ماء، ولكن هل سينتظرون في المكان طويلًا أم ماذا؟! لا يعرفون بعد.

هم بحاجة أولًا إلى التفكير العميق، ودراسة الوضع قبل أن يأتي والدهم الغاضب، وتحدث معركة يعلمون أنَّها قادمة لا محالة، ولن تتأخر.

***

في نفس التوقيت كان طه يستشاط غضبًا، أبنائه الملاعيين تلاعبوا به، وخسر الورقة الأخيرة؛ لأن التضحية لم تتم!

كاد أن يخرج، ولكنَّه توقف بسبب ظل ضخم ارتسم على الحائط الخشبي أمامه، وتحدث بصوت عميق:

- فشلت يا عاصي.

رد بغضب:

- لا تناديني بهذا الاسم.

- لكنك موصوم به، دعنا إلى الأهم، فشلت!

أجاب بسرعة، وهو يفكر في حل:

- لا لم يحدث.

- بمن ستضحي؟

- الأهالي.

- بعد ما فعلوا؟

- لم يفعلوا شيء، أنا من أفعل لهم، أوجدت لهم الأمان، ولولا شرورهم لذهبوا.

- أوجدت لهم الخوف.

- الأمان بحاجة إلى خوف ليكون دليلًا على القوة.

- دعنا من هذا فلا يهمنا، عليك الانتهاء لتصبح لك الورقة الأخيرة، ونصف المفتاح.

- كم تحتاج؟

15- روحًا.

- اعتبر المهمة تمت، لكن أريد ما سُرق مني.

- لا نتدخل فيما يفعله البشر، وأنت تعلم هذا.

- أريد استثناء.

- لا استثناءات... العهد واضح.

نظر طه بصمت إلى الظل الضخم، وهو يفكر:

- لكن إن أحضرت الورقة الأخيرة ستكون معهم؛ لأن باقي أوراق العودة لديهم!

- هذه مشكلتك... هل أنهي العهد بيننا وتنسى أمره؟

رفع يده بسرعة، وهو يقول:

- لا لا... سأنفذ، سأعيد الأوراق بطريقتي الخاصة.

قال الظل: لك هذا، ولكن تذكر إن أعلنت خسارتك، واستسلمت أصبحت ملكًا لنا، ولا عهد بيننا.

بلع طه ريقه، وهو يقول:

- أعلم.

ليختفي الظل تاركًا العاصي يضع خطته الجديدة.

المواجهة

وجد حسام أمامه مجموعة من البشر جالسين على الأرض مكبلين بالأصفاد في ظل منزل، وأمامهم فتاة ترتدي الأسود، وجبهتها مليئة بالوشوم ورجل ضخم الجثة لا يعلم من هو، وفي يده عصا.

أخرج مسدسه من السيارة بسرعة، وأطلق النار في الهواء لإخافتهم ليتعالى الصراخ من الموجودين داخل الأقفاص.

هناك ما لا يقل عن 100 شخص على الأرض مستسلمين تمامًا.

مهلًا هناك أيضًا شخص آخر مكبل تمامًا لكنه يقف أسفل بروز منزل، ولكن لم يكن ظاهرًا له من البداية... يقف في مواجهة المرأة والرجل.

هيئته مخيفة يرتدي جلباب أسود، وعمة باللون نفسه!

التفتوا له جميعًا لينزل من سيارته وسط نظرات متعجبة من الرجل ذو الجلبات، ونظرة غريبة تبادلتها السيدة والرجل الآخر!

"اركعوا أرضًا الآن" قالها، وهو يصوب مسدسه إليهم، ثم اقترب منهم أكثر والرجل لازال متعجبًا ليسألهم:

- من أنتم؟

ردت الفتاة:

- أبناء العاصي.

فكر حسام، أخيرًا وجدهم، هكذا يبدون إذن، كل ما يحدث سببه سيدة، ورجل فقط!

أشار بمسدسه إلى الآخر، وقال:

- ومن هذا؟

- والدنا... طه، العاصي.

صرخ فيهم بأن ينضموا إلى بعضهم البعض صفًا واحدًا فوافقوا وسط نظرات كراهية متصاعدة من طه تجاهه.

سأل طه ببرود:

- ومن أنت يا هذا؟

رد بحسم:

- الرائد حسام الدين من مديرية أمن المنطقة.

لم تعلق شوق، ولكنها كانت تستعيد ما حدث في الكَفْر، وكيف وصلوا إلى ما هم فيه الآن...

يا لها من رحلة!

المعركة

في الجبل، جلس أبناء العاصي يفكرون فيما سيحدث، بالتأكيد والدهم سيضحي بالأهالي لإحضار الورقة الأخيرة، وهم لديهم باقي الأوراق، وبالتالي ستجتمع لديهم المجموعة كاملةً، لكن ماذا سيحدث بعدها؟!

- لا بد من منع أي تضحيات جديدة.

التفت لها عاصم، وسألها:

- كيف؟!

- هو لن يتوقع أن نهاجمه، سيهاجمه اثنين منَّا ويذهب اثنين آخرين إلى القرية لحماية أهلها، أو طردهم من المكان إن استطعنا.

- ماذا إن رفضوا؟!

تعجبت من السؤال.. هل يمكن لبشري أن يرفض محاولة إنقاذه؟!

لكنها لم تتخيل أن الأهالي سيقدمون لهم أكثر من ذلك!

كنز الجبل

وقف طه وسط القرية لينادي الأهالي، ويطلب منه الخروج من بيوتهم، والسماع لما يقول جيدًا عند التلة الرملية على حدود القرية.

صعد على التلة، وبدأ الخطبة فيهم، محركًا ذراعيه، وبصوت عالي حاسم تحدث:

- لقد كذبت عليكم.

ساد الصمت من المفاجأة، وتعالت بعده همهمات أشار بيده لتتوقف، ليضيف:

- لن أرحل عن المكان، لكن لدي شيء لكم، مكافأة على العشرة الحسنة لسنوات طالت، شيء سيجعلكم الأقوى، والأكثر ثراءً، لكنه ليس معي هنا بل على الجانب الآخر من الغابة، سرقه أبنائه الملاعيين، تحالفوا سويًا ضدي، ضد والدهم، وليس ذلك فقط بل ضد أهل القرية!

هل تعلمون لماذا نفذنا الترنيمة الأخيرة؟... لمنعهم من دخول القرية ثانية من جهة الغابة؛ لأنهم بدأوا ممارسة السحر الأسود، ويريدون التضحية بكم لأجل العثور على شيء سيجعلهم أسياد العالم.

وأضاف، وهو يشير إليهم، ويتعالى صوته: يضحون بكم أنتم!

لكني لم أرتضي بذلك، رفضت، وأمرتهم أن لا يفكروا في هذا الشيء ثانيةً فنحن

نعيش في سلام منذ سنين، ولكنهم أَبَوْ، ووصفوني بالجبان الذي يرفض التخلص من حثالة البشر لأجل القوة!

صرخ فيهم مستفزًا إياهم: وصفوكم بحثالة البشر، ثم انخفض صوته، وهو يقول:

- طردتهم من بيتي، وتبرأت منهم أمام الله، وأمامكم، وحرصت على حمايتك رغم أنِّي شاهدت الفرحة على وجوههم حين قررت الرحيل.

وأشار إلى الغابة، وأضاف:

- هم في الجهة المقابلة للغابة يضعون خطتهم للقضاء عليَّ وعليكم، يريدون قتلكم قبل منتصف الليل، هكذا عرفت من جواسيسي، ولكن احذروا منهم فقد باعوا أرواحهم للشيطان.

"ولماذا يريدون التضحية بنا؟!... وجه أحد الأهالي السؤال لينظر له طه لثوانٍ، ويجيب:

- لأن هناك كنز في الجبل القريب من هنا، كنز لم يتخيله أحد، وهو بحاجة إلى دماء كثيرة لفك الرصد عليه.

- أي رصد؟!

- تعلمون أن هناك بعض الجن يحرس المال والكنوز، وأعرف منذ جئت إلى هنا أن هناك جن يتواجد في الجبل، ومغاراته وطالما أن عدهم كبير كما رصدت فهم مكلفين بحماية كنز كبير، والحل فقط للحماية من شرور هؤلاء هو تقديم أضحيات كبيرة... دماء تسيل في المكان لفك الرصد، وهذا هدف أبنائي، باعوا الحياة لأجل كنز...

حتى لو نجح الأمر، فأنتم أحق بالكنز، وليس هم، فأنتم أسياد القرية الحقيقية!

استطاع طه أن يلعبها بشكل صحيح هذه المرة، لعب على وتر الطمع البشري، فهذه القرية ليس بها أهالي عاديين، بل من اختار العيش قربه، حتى أنَّه خلال السنوات الماضي انضم لهم بعض القتلة، ومحبي السطوة والسيطرة، وأصبح من يعيش هنا معروف بشروره فقط... قرية الشر! ولهذا هو لا يتعجب من كمية الغل، والحقد الذي يحملها من أمامه تجاه أبنائه الآن.

كما أنَّه ألقى طُعم وجود كنز، وهو أيضًا دافعًا سيجعلهم يذهبون، ويقتلون، ويفعلون أي شيء. لن يتعجب لو قتلوا بعضهم البعض في الجبل لفك الرصد المزعوم!

سيرسل بعض الأهالي، وليس كلهم فهو لا يريد المجازفة بجميع أتباعه، ومعهم أسلحة إلى مكان الجبل، ثم يتسلل هو، ويحضر الأوراق، ويعود، الأمر بسيط أليس كذلك؟!

***

سارت الخطة كما قرر لها طه، فخلال ساعة واحدة فقط، تجمهر العشرات، وفي أيديهم الأسلحة المختلفة، رشاشات وبنادق ومسدسات وفؤوس وسكاكين، ذبح هناك معركة تلوح في الأفق لا يدرون أنهم طُعم فيها، والغريب أن بعض النساء كن مع الرجال كذلك، وكأن الطمع البشري يضع لمساته، ويؤكد أن الشرور ليس شرطًا أن تكون لدى جنس واحد!

***

في الجهة الأخرى، يستعد أبناء العاصي للنزول إلى القرية، هناك طريق آخر بالتأكيد غير الغابة يقودهم إلى القرية وعليهم السير فيه، ولكن عليهم أولًا الاستعداد بأسلحة لحماية أنفسهم.

استغرق الاستعداد ساعات، حيث وجدت شوق سلسلة من المعدن مغموسة

في مياه نجسة ودماء، كانت في البيت الخشبي، ويستخدمها والدها في تقييد الكائنات حين يستجوبهم.

سلسلة تحمل طاقة شر كبيرة، وهي مناسبة للغاية؛ لأن طاقتها ستتفاعل معها، وتصبح سلاحًا قادرًا على الإطاحة بالعشرات بضربة واحدة، ولكن ينقصها خطاف صغير للاقتناص.

أما الذكور فبعد أن حلت فيهم الطاقة الصافية فليسوا بحاجة إلا لعصي من الخشب أعلاها حجر أبيض من الجير ربطوه فيه جيدًا، واللون هنا له دلالة مهمة يعرفونها جيدًا، وهو أنَّه يركز الطاقة، ويجعل من الحجر مركزًا للإطلاق، لتصبح العصي أشبه بمسدس طاقة، تتجمع من جسدهم إلى العصا ثم تتركز في الحجر ثم يطلقونها.

لا يعلمون نظرية أن الطاقة لا تفنى، ولا تستحدث من عدم، فكل ما حولهم عبارة عن طاقة منبعثة من كل شيء، شمس ورياح وأرض ونباتات وبشر وصخور، جسدهم أصبح جاذبًا لكافة أنواع الطاقة مما يعني أن سلاحهم به طاقة لا تنضب.

استعدوا جيدًا، وحصلوا على زاد وماء من الغابة، ثم استعدوا للاتجاه سويًا إلى خارج المكان عبر ممر صغير بجانب الجبل يقود إلى الخارج، بعد أن كلفت شوق عاصم بمهمة أخرى.

عليهم الدوران حول الغابة في مسيرة يعلمون أنَّها ستستغرق ساعات، ولكن لا بديل.

ألقوا نظرة أخيرة خلفهم على الغابة، واستعدوا للخروج من الممر ليجدوهم أمامهم!

الأهالي!

مسلحين شاهرين آلات الموت في وجوههم، ليتعالى صراخهم (أبناء العاصي)، ويجري الجمع تجاههم.

لم يجد أبناء العاصي حلًا سوى العودة عبر الممر إلى الجبل ثانية، تعالى صوت الرصاص من الخلف، ليحيم جناح الموت مرفرفًا على المكان منتظرًا سقوط الضحية الأولى!

الرصاص يتطاير، والصراخ يزداد، والجميع يجري خلف أبناء العاصي الذين لم يتأهبوا لهذه المعركة... هم كانوا ذاهبين لإنقاذ الأهالي ليجدوهم أمامهم يتوعدونهم بالموت!

وصلوا إلى الجبل فصعدوا بسرعة إلى كهف ضخم أدخلهم في ممرات حجرية تفرقوا فيها، ومن الخلف أصوات صعود الجميع يتناهى إلى مسامعهم.

لا حل سوى المعركة، إما هم، أو نحن... صرخت شوق بهذه العبارة لتصل إلى مسامع إخوتها، ليردوا موافقين، ولكنها حاولت أن تغازل مشاعر البشر ببعض الكلمات قالتها، وهي تتنقل من ممر صخري إلى آخر.

- لا نريد قتلكم... أنتم تعلمون أننا قادرين على ذلك... أبي يخدعكم.

تردد صدى صوتها في المكان ليأتيها:

- الموت للعاهرة!

كظمت غيظها بصعوبة بالغة، وهي ترد:

- للمرة الأخيرة، أنتم لا تعلمون مقدار قوتنا، أنتم مجرد حشرات يمكن دعسها بسهولة، أبي يتلاعب بكم.

ضحكات ساخرة، وسباب رد عليها، لتوجه الإنذار الأخير:

- من يريد الحياة فليخرج الآن، إنها الفرصة الأخيرة، وإلا قسمًا بمن خلق الجميع ستندمون، ولن نبقي على أحد منكم.

هذه المرة كان الرد مزيج من الغضب، وأصوات ركض تتردد في المكان.

يبدو أن البعض هرب بالفعل!

لم يتبقى سوى من باع نفسه إلى طه، وهذا لن تكون نهايته سارة... خرجت من خلف نتوء صخري بالسلسلة التي تنتهي بالخطاف لتبدأ توجيه الضربات...

سريعة كانت، رشيقة، وكأنَّها ترقص على الأرض الصخرية عازفة مقطوعة الموت، ضربات يمينًا، ويسارًا وضخور تتفتت تحت أقدامها، وهي تتواثب، وشعرها يتلاعب خلفها بجبتها الموشومة، وكأنَّها آتية من عالم آخر!

ابنة العاصي قادرة على دحرهم جميعًا وحدها، أقواهم، وأذكاهم، وزادها الوشم جمالًا.

لو أن أحد شاهدها الآن لسقط في حبالها عشقًا!

دقائق من صراخ البشر انتهت، وسال الدم معلنًا خلو المكان، الأشقاء خرجوا ووجهوا بعض الضربات بعصيهم لتتناثر الأجساد وتزهق الأرواح، رجال ونساء يفترشون الصخور والرمال ربما نادمين، ولكن بعد أن ضاع وقت الندم!

الكَفْر

العرق يغرق وجوههم، وملابسهم اتسخت تمامًا، وكأنَّهم مشردين قبل سنوات، ولكن لا يهم، من مات اختار طريقه، أما من رحل قبلها فله الأمان، وهؤلاء وجدوهم عندما خرجوا من الجبل.

واقفين أمامهم مستسلمين، طالبين السماح لهم بالبقاء في حمايتهم، نادمين على ما فعلوا.

أحيانًا يكون الندم المتأخر أفضل من المكابرة، ولهذا سمح لهم أبناء العاصي بالتواجد، وبناء بعض المنازل الخشبية للعيش في المكان... هنا سيعيشون، ويعلنون بداية جديدة قرب القرية فربما يحين دورهم، ولكن عليهم أولًا دفن الموتى فهم مهما كانوا بشر سقطوا في فتنة كبيرة.

الغابة ستكون مناسبة للغاية، لأن هناك صف من الكافور سيبقى ليحجب الرؤية عن المتلصصين في أي ظرف، وبعده سيتم تقطيع منطقة من الأشجار لبناء البيوت ما بين الجبل والغابة، ومكان هذه المنطقة ما بين الكافور، والغابة ستكون المقبرة.

***

أثناء المعركة تسلل طه إلى البيت الخشبي قرب الكَفْر، استغل فرصة انشغال الجميع بالقتال، ودخل سريعًا، وفتش في المكان، لكن لا شيء!

خلع كل شيء وبحث في كل مكان عن الأوراق، ولكن لا شيء، تلفت حوله كالمجنون، لا يوجد ما جاء لأجله ليصرخ بغضب: لاااااااااا

ثم أخذ يركل كل شيء، وخرج وداخله غضب يكفي لحرق الأرض ومن عليها!

تيقن من أن الأوراق ليست هنا في البيت الخشبي، لكن أين؟!

***

هل ترى هذا الرجل الذي يتقافز بسرعة فوق جذوع الأشجار الملقاة على الأرض حتى وصل أخيراً إلى وجهته.

إنَّه يدخل البيت الخشبي القريب من القرية بعد أن جاء من الجهة المقابلة، وفعل كما طلبت أخته.

تسلل عبر الغابة وحيدًا، وسار لساعات حتى وصل ووضع أوراق العودة داخل قطعة من الخيش ودفنها جيدًا بجانب الجماجم في بؤرة الخلاص، ثم عاد سريعًا إلى إخوته قبل أن يكتشف أحد أمره راسمًا إبتسامة ساخرة على شفتاه فمن يتخيل أن الشيء الضائع يكون تحت النظر لكن لا يُرى!

خطة الشيطان!

جلس يفكر في مصيره وخطوته المقبلة، أبنائه أثبتوا أنَّهم أذكياء بشكل لم يتخيله، هو كان يعتقد أنَّه الأقوى، ولكن يبدو أن الأمر يقاس بمقدار الذكاء، والتكيف، وليس القوة والسلطة!

عليه تغيير استراتيجيته معهم، بدلًا من قتالهم عليه فعل شيء آخر ربما سيجعله ينتصر.

ابتسم في سره فانفرجت أساريره، وهو يضع خطته التي لن يخيلها أحد مهما كان... حتى أبنائه!

***

قال له الظل يومها إن المقايضة انتهت، ولن يحصل على المفتاح الأخر فوافق، وهو يهز رأسه موافقًا فسأله الظل:

- هل استسلمت؟

رد طه بحسم، وغضب:

- بالتأكيد لا... لدي خطة أخرى.

***

لا زال الموقف متجمدًا فحسام يحاول البحث بنظره عن أي شيء لتقييد أبناء العاصي، وطه فلم يجد شيء.

فكر في أن يفك أصفاد الأهالي، ولكن تخوف من ردة فعلهم، فعند الخوف يظهر الجنون بقسوة، قد يقتلونه هو بالخطأ!

سألهم عن سبب تكبيلهم، ومن الفاعل، فلم يرد الرجل بل ردت شوق.

- كان طه يريد التضحية بهم.

- لا أفهم... تضحية كيف؟!

سألتها بثقة:

قل لي أولًا هل وجدت نصف المفتاح؟

صدمه السؤال فهو وجد بالفعل مفتاح، ولكن كيف عرفت!

ظهرت الإجابة على وجهه لتضيف:

وهل وجدت أوراق العودة كاملة؟!

التفت إليه طه، وكأنَّه سيحرقه بنظراته، وهو يسأل:

- كيف! من هذا الشخص؟

نظرت له بسخرية، وهي تقول:

- ابنك!

***

مرت شهور، والكَفْر لا جديد فيه، في البداية كان هناك تخوفًا واضحًا مما سيحدث، وينتظرون الهجوم في أي لحظة، ولكن لم يحدث شيء!

فكروا في أن يذهبوا إلى القرية للقضاء على والدهم، ولكن أكد جواسيسهم أن القرية هادئة للغاية، وكأن لم يحدث شيء!

طه أصبح يختفي أكثر وأكثر، يقول البعض إنَّه "تاب"!

هل يمكن لشيطان أن يتوب؟!

لا يعلمون الإجابة، ولكن الواقع غير مفهوم، وتعودوا عليه مع الوقت، فالزمن كفيل بأن يصبح أي غريب شيء عادي.

بنوا جامعًا صغيرًا من الخشب في الكَفْر، وبدأوا الحفر في الغابة لتوفير المياه ونجحوا بالفعل، من اختار العيش هنا كره العالم، وزهد أي مظاهر للرفاهية بعد ما حدث.

يريدونها منطقة لا تحمل الكره، أو الفساد، ولهذا لم يسعوا إلى أن يكشفوا عن أنفسهم لأحد، بل أن من يريد الرحيل عنهم كان يقسم بأنَّه لن يخبر أي شيء عن المكان.

أشهر مَرت، وهم يراقبون والدهم ليل نهار عبر جواسيسهم، لا يفعل أي شيء!

جلوس ونوم وطعام وذهاب إلى القرية فعودة إلى نفس الروتين!

رحل الكثير من الأهالي خلال هذه الفترة عن القرية، ومن تبقى عاشوا كما كانوا يعيشون في الماضي، على الزراعة والتجارة، يكرهون طه، ولكن ليس بوسعهم عمل شيء...

طلب منهم الذهاب لقتل أبنائه وفشل من ذهب، وبالتالي ليس عليهم مطالبته بكنز الجبل، وبالطبع خوفهم يمنعهم من مطالبته بالرحيل... فالشجعان بالنسبة لهم ماتوا في المعركة مع أبنائه.

الوضع ظل هادئًا بشكل يثير للعجب، حتى كشفوا الخدعة!

فعلها العاصي!

علموا بالصدفة البحتة ما كان يخطط له طه.

خرج صباحًا من أحد بيوت القرية، وهو يصرخ غاضبًا، ويسب، ويلعب... طفله الرضيع مات!

البيت لسيدة تخطت الأربعين، ومطلقة تعيش مع ابنها الصغير فقط، خرج منه يصرخ حاملًا رضيعًا لا يتخطى عمره يومين... كتلة من اللحم ملفوفة بملائة بيضاء.

علم الجميع بما فيهم أبنائه بخدعته... خسر للمرة الثانية!

كان يريد أن يُنجب طفلًا، أو طفلةً ليضحي بروحها مقابل ورقة العودة الأخيرة بعد أن أيقن بأنَّه لن يمكنه التضحية بالأهالي بسبب أبنائه المتربصين.

أصبح متأكدًا من أن قتل 15 شخصًا من البشر دون تخطيط جيد جريمة لن يحميها فيه كبار المنطقة، أو مسؤوليها كما تعود، فهذه مذبحة!

على الرغم من أنَّه لا يعلم مكان باقي الأوراق إلا أنَّه اختار أن ينفذ، ولو جزء من الخطة حتى يصل إلى اكتمال الخطة.

بعد كشف الخدعة وعودته إلى روتينه المستفز، أيقن أبنائه أن الحياة يجب أن تستمر، الكفر بحاجة إلى الأمن والاستقرار، ليبدأ الجميع التناسي إلا شوق التي لم تحس أن ما حدث طبيعي!

لماذا يفضح والدها نفسه، ويخرج صارخًا ويكشف خطته لهم، هناك شيء آخر بالتأكيد!

عليها أولًا أن تحصل على هاتف جوال؛ لأنه سيكون مهمًا لها للغاية خلال الفترة المقبلة، والاتصال برقم ما سيساعدها على وضع خطتها المقبلة كي لا تجد فجأة كارثة فوق رأسها.

***

حاولت معرفة من أيضًا كانت حاملًا في نفس الفترة، وهل أنجبت أم لا؟!

هناك 3 سيدات حملن، واحدة منهن مات جنينها أيضًا!

الثالثة خرجت من الكفر قبل أن تلد!

خرجت، ولم يعلم أحد مكانها.

هل تحمل داخلها نطفة من العاصي؟! لا تعلم، ولكن يجب أن تصل لها سريعًا بأي شكل.

عليهم التحرك هذه المرة سريعًا، طلبت من إخوتها أن يحرسوا الكَفْر جيدًا، وذهبت مع عاصم لتحاول التوصل إلى السيدة، بحسب ما قالت جارتها فهي من قرية المحسنين في كفر الشيخ.

الطريق سيكون طويلًا، وأمامها يوم كامل للذهاب، والعودة، لو كانت السيدة حامل في طفل من والدها ستقتلها ببساطة، فروح واحدة أهون من عالم بأسره!

استقلا سيارة أحد الأهالي في القرية الذي يساعدهم في الخفاء، ويوفر لهم بعض المؤن الضرورية... قابلاه بعيدًا عن الكَفْر، والقرية بالطبع، وخلال الطريق اشتعلت خلايا عقل شوق بالتفكير.

هكذا الوضع بالنسبة لها واضح، والدها كان يريد أن يلفت انتباهم إلى طفل ميت وفي المقابل أمن نفسه بـ3 سيدات لتحمل واحدة منهن في طفل!

ولكن لماذا أقدم على هذه الخطوة رغم أنَّه لم يجد بعد أوراق العودة المسروقة منه؟!

بل، ولماذا لم يهاجمهم من حينها!

رأسها تدور من التفكير، ولكن ستجد الإجابات قريبًا.

هي التي لم تخرج من القرية، والكَفْر إلا نادرًا مجبرة على السفر في طريق طويل مثل هذا.

لا يهم، ولكن ما يهمها هو أن تكون المهمة يسيرة، فهي تحس منذ أن علمت حقيقة والدها أن وجودهم في العالم له سبب، بالتأكيد إنقاذه فقط.

***

تعالت الطرقات على الباب الخشبي القديم للطابق الأول في منزل مبني بالطوب الأحمر، لتخرج سيدة كبيرة في السن رسم الزمن على تجاعيدها قصص كثيرة، تسألهم عن ما يريدون، ومن خلفها يتردد صوت القرآن بصوت عالي...

تحدثت، وهي ترتدي النقاب بسبب جبهتها المليئة بالوشم، وقالت إنها أتت للاطمئنان على أم يوسف؛ وهي السيدة الحامل.

نظرت له السيدة بحسرة، وقالت بحزن بالغ: ماتت أمس قبل أن تلد... رحمها الله.

ارتسمت ملامح الذهول على وجه عاصم، وهو ينظر إلى شقيقته التي قدمت العزاء ثم استأذنت في الرحيل.

في السيارة سألها:

- هل انتهى الأمر هكذا؟

صمتت للحظات، وقالت:

- بالتأكيد لا.

- هل تعتقدين أن والدي سيلجأ إلى خطة أخرى؟

- هو يعيش على أمل لن يتركه بسهولة؛ لأنه جزء من تكوينه، الطمع البشري وطمع العالم الآخر، الرجل أصبح كتلة من الشرور لا يمكنها أن تتوقف.

- لماذا لم نصبح مثله؟

- لأننا كنا أقرب للبشر كما أن طاقتنا لم تتشبع بالسحر الأسود منذ الصغر.

- أنتِ الوحيدة التي يمكنه أن يضحي بها بعد أن أصبحنا طاقة.

- أعلم، وأتعجب من أنَّه لم يحاول أن يفعلها.

- ربما الأمر له علاقة برضاكِ عن التضحية.

هزت رأسها، وقالت:

- لا بل أظن أن له علاقة بعدد التضحية، فروح واحدة من نسله لن تكفي، ولهذا يسعى إلى أخرى، وبعدها ينفذ.

ساعات من الطريق حتى وصلوا إلى الكَفْر...

الممر الجبلي به آثار لسيارات غريبة!

تشم رائحة خيانة!

قبل أن تتحرك شاهدت رجل يظهر أعلى الجبل، وفي يده ما يشبه صاروخ.

إنَّه صاروخ حقًا!

(آر بي جي) يستعد للانطلاق تجاه السيارة!

لم تدري بنفسها إلا، وهي تصرخ وتفتح الباب بجانبها وتقفز وهي تشد شقيقها ويسقطان أرضًا، وعيونها تتابع خيط الدخان الرفيع والصوت المميز لانطلاق الصاروخ ليفجر السيارة، وتتناثر أجزائها.

ارتطمت رأسها بصخرة لتبدأ الرؤية تتشوش في عيناها.

نظرت إلى عاصم فوجدته يتألم على الأرض، والدماء تنزف من رأسه، وذراعه.

ظلت في مكانها تحاول مغالبة الدوار الذي يكتفها... لا تقدر.

تغمض عيناها، تفتحها، تحس بضربات قلبها تتسارع، وكأنَّها تركض، الألم يزداد في كل جسدها.

حاولت النهوض فلم تستطيع، نادت على عاصم فلم يرد، وهو يصرخ من ألم ذراعه ويمسك رأسه.

هناك شيء سائل يشبه الملح على طرف فمها... هل هي دموعها التي تسيل من القهر والخسة أم الدماء، أو ربما عرق، لا تعرف ولكنَّها ستقاوم!

أصوات أقدام تقترب منها، حاولت أن ترفع رأسها لتنظر فلم تقدر، حاولت قليلًا وهي تتأوه، فنجحت بعض الشيء لتشاهده يقترب!

طه، لكنه ليس وحده!

يحمل شيء في يده...

طفل رضيع...

كيف، وقد ماتوا جميعًا.

نظر له بحقد وكره وهو يقول، وكأنَّه سمع السؤال في رأسها:

- ليس كلهم.

ثم أشار بيده الأخرى إلى الطفل، وقال بلهجة المنتصر:

- أقدم لكِ... فؤاد، ابني، ابن العاصي.

لينزل برأسها إليه، وهي تقاوم رغبتها في البصاق عليه... ستفقد الوعي إن فعلت، لتجده ينظر إلى عيناها ويقول متحديًا:

- ألن ترحبي يا شوق بالتضحية الجديدة؟

قبل أن ترد وجدت ركلة في وجهها لا تدري من أين جاءت لتظلم الدنيا تمامًا أمام عيناها!

ابن العاصي!

كانت إجابة شوق بمثابة طلقة أطاحت بالعقول، نظر طه إلى حسام في ذهول، وأحس الرائد بنيران تشتعل في عقله غير مستوعب ما يحدث، أمَّا عاصم فكان يتوقع الإجابة بل متيقنًا منها فلم يعلق.

لكن كيف حدث ذلك!

قالت، وهي تتذكر ما حدث:

- للقصة تفاصيل عديدة لكن بحاجة إلى معرفة ما قبلها.

ثم بدأت سرد ما حدث!

بعد أن سقطت، وأُغْشِيَ عليها في انفجار السيارة جعلها الألم غير قادرة على فتح عيناها، هناك ألم أخر في ذراعيها تحديدًا، وكأنَّهما مشدودان بشدة حتى كادت الأربطة أن تتمزق، تحس بأنَّها تطير في الهواء، أو تتأرجح، لا تشعر بتوازن، أو شيء صلب أسفل أقدامها، تذهب يمينًا ويسارًا والدوار لا زال يضرب حصون عقلها فيدمر أي إتزان لديها!

فتحت عيناها بصعوبة بالغة لتجد نفسها معلقة من يداها داخل مكان مظلم، التنفس ثقيل، والرطوبة عالية، حاولت التحدث فلم تقدر، هناك شيء ما على فمها يمنعها من الحديث، أو الصراخ.

سمعت صوت صرير باب لكن كيف يوجد باب لهذا المكان الضخم.

حاولت أن تدير جسدها في المكان، وهي معلقة لتعلم الوضع جيدًا فلم تقدر، لكن وفر عليها طه الوضع لأنه وقف أمامها، ونظر لها وهي معلقة، وابتسم.

ابتسامته سمجة ثقيلة مليئة بالشماتة، لا تتخيل أن تكون نظرة أب إلى ابنته، ولكنَّه ليس بشريًا بل تشبع بشرور القادم من العالم الآخر، وشرور السحر، وشرور البشر، ثلاثي الشر صنع منه مسخ يقف أمامها الآن، وهي مكبلة لا تقدر على الدفاع عن نفسها!

- بالطبع تسألين نفسك عن هذا المكان، وما حدث؟

لم تجيب، ولكنَّه بدأ يدور في المكان، وكأنَّه يحدث نفسه:

- عاصم في الغرفة المجاورة يواجه نفسه.

لم تفهم العبارة، ولكنَّها لم ترد أيضًا.

- أما إَخْوَتك الاثنين فماتوا بشرف... لا تقلقي يا شوق... لقد أنجبت رجال يرفضون الهزيمة، ولم يكن أمامي سوى قتلهم؛ لأنهم كادوا أن يقتلوني ونحن نهاجم الكَفْر...

دار حول نفسه، ونظر إليه ليسأل:

- لم تقولي لي، لماذا الكَفْر؟... لماذا لم يكن اسم آخر؟!

ضحك بصوت عالي، وتابع مجيبًا على نفسه:

- لا يهم، المسميات هي أخر ما أفكر فيه الآن.

فجأة وجدت نفسها داخل تابوت مغلق عليها مكبلة بسلاسل، حاولت فك نفسها فلم تقدر.

كيف جائت إلى هنا؟! طه اللعين يمارس معها ألعاب عقلية، هي تعلم جيدًا هذه الأساليب، ولكن لم تعرف أنَّه قادر عليها!

- الوهم يا صغيرتي، الوهم هو الشيء الوحيد الذي يحبه البشر، وفي المقابل يكرهون الواقع... لا أعلم كيف يفكرون؟! ولكن عقولهم قادرة على الدخول بكامل إرادتها في فخ الوهم، لا يواجهون مخاوفهم بل يتركونها محبوسة في أماكن مظلمة حتى يظهر فجأة، وتنقض عليهم، وتبعثر أي تعقل.

لم تفهم ما يقول جيدًا، ولكنها عرفت أنَّه سيعيشها في وهم، ويدفعها إلى الجنون، ولكن لماذا لم يفعل هذا سابقًا!

وكأنَّه سمع سؤالها في عقلها.

- لأني كنت أنتظر ابن العاصي.

حاولت فك السلاسل ثانية فلم تقدر، ولكن تردد صوته، وهو لازال يمارس هوايته في التحدث:

- كان لابد من تشتيتكم، خرجت من البيت صارخًا، وفي يدي جثة طفل مات قبل يوم في قرية قريبة، وأتى به أحد النباشين، وكافئته بقطع رأسه.

ثم أشار بيده،وكأن القتل شيء تافه لا يعنيه.

فعلتها مع 3 نساء، كلهن في أوقات مختلفة، ولكن في الدورة القمرية، لأن هناك علاقة ما بينها، وبين ما يحدث وكأنَّها تسمح بنطفة الطاقة بالدخول إلى جسد المرأة، ولكن يبدو أن للأمر حسابات أخرى.

طفل مات، وآخر مات، وأمه، وهي التي ذهبتي إليها... كانت طعمًا لكم للذهاب، كنت متأكد أنِّي ستذهبين مع عاصم، وتتركين الكَفْر وأخوتك وحدهم.

أما الثالث فكان في البيت الذي خرجت منه صارخًا، خبأته وأقسمت على أمه أنِّي سأقتلها لو كشفت الحقيقة، وفي الواقع هي جبانة للغاية؛ لأنها أخذت تلطم، وتقسم أنها لن تتحدث.

دفنت الرضيع، ثم جائت أمه ومعها الرضيع الحي، ابني، وهي تغطيه بملابسها... هذه ميزة أنِّي اخترت سيدة بدينة.

ثم ضحك بصوت عالي، وهو يقول لها: أليست خطة ممتازة؟

بعدها انتظرت حركتك المقبلة، أنا أريدك حية؛ لأن التضحية لا يمكن أن تتم بروح واحدة، بل على الأقل اثنين.

كان يجب علي التحرك فور أن علمت بخروجك من الكَفْر، هناك جواسيس لي كما تعلمين كما لكي جواسيس في القرية.

ذهبت ومعي الرجال، واستمتعنا كثيراً بقتل من وقف في طريقنا، ولكن أخوتك قرروا المواجهة، والهجوم على الرأس.

وأضاف بغضب متعجبًا: على والدهم... يريدون قتلي أنا!

هدأ صوته، وهو يتابع:

-نزلوا من الجبل، وفي أيديهم عصي تنطلق منها ما يشبه طلقات طاقة، إحقاقًا للحق لم أكن أعلم أنَّه يمكن عمل مثل هذا السلاح بعد التحالف مع العالم الآخر ضدي.

علمت أنَّك فعلوتها عندما لم يجد الحاصد أرواحكم، تخيلت أنَّك انتحرتم مثلًا، ولكن عندما لم أجد أوراق العودة عرفت أن هناك خدعة أخرى.

لا أعلم كيف فعلتوها، ولكن يبدو أنَّكم أذكياء على عكس ما كنت أتوقع.

صدقًا، فكرة مواجهة بشر بطلقات الطاقة ليست جيدة، فالبشر لديهم رشاشات آلية وصواريخ (آر بي جي) كفيلة بتدمير دبابة، فكيف يمكن مقارنة هذا بذاك؟!

بإشارة واحدة مني إلى السكري الذي تسلق الجبل بسلاحه أطلق الصاروخ لتتناثر أشلائهما في المكان.

خفت صوته بدرامية، وأضاف:

حزنت، حقيقة حزنت، أنَّهم أولادي مهما حدث، ثم على صوته بحماسية غريبة، وكأنَّه مجنون: لكن السكري هذا يجيد التصويب، وهذا أعجبني!

انهمرت دموع ساخنة على وجنتي شوق، كل ما تريده الآن هو قتل والدها فقط، ولتموت بعدها لا يهم، إنَّه لعنة متحركة مجنونة لا يمكن لها الاستمرار.

- أعلم ما تفكرين فيه... ألم أقل لكي سر هذا المكان؟

إنَّها غرفة لا تتعدى 3 أمتار!

صدمها قولها ليتابع:

- هذا سري الخاص، غرفة الوهم، عالم آخر بتردد غير الأرض أصنعه فقط بعقلي، أتحكم فيه بمن داخله، ولكن يجب أن يدخله الشخص، وهو نائم، أو مغشى عليه، العالم هذا لا يعيش فيه أي كائنات، ولكنَّه مخصص لاستقبال بعض الكائنات، ومنهم البشر، يصنع قالبًا من الذكريات، والمعرفة الأرضية، ويخلطها ليضع الشخص فيها ويواجه مصيره.

وضعتك أنتِ وأخيكِ فيه ودخلت بالطبع لأشاهدكما، وأنتم تعترفان بهزيمتكما أمامي.

حين أعود عليكي الرضوخ لي، والموافقة على التضحية وكشف مكان أوراق العودة التي سرقوتها مني، فأنا لدي أعمال أخرى عليَّ القيام بها.

سأتركك الآن للاستمتاع فهي غرفة لطيفة ستؤنس وحدتك وتجعلك تتمنين الموت... ثم توقف وزاد: لا لن تجعلك تتمنين الموت بل تتمنين عدم الموت!

لم تفهم عبارته، وماذا يقصد، ولكن بمجرد أن اختفى صوته بدأت الفهم!

غرفة الوهم

وجدت نفسها في بهو فرعوني ضخم، ترتدي ملابس غريبة تكشف غالبية جسدها، وترقص أمام 4 رجال أحدهم عينه اليمني ممحوة، ويضع بدلًا عنها قطعة من المحار!

تلف، وتدور بجسدها وتمسك في يديها سلسلة لا تدري متى وصلت إليها، وتلفها حول نفسها ثم تنحني، وتركع ثم تنهض وتقفز على قدم واحدة... رقصت برشاقة غير عادية... من هولاء، وأين هي؟!

لم تلتفت لوجود سلم خلفها، وهي تقفز وتدور حول نفسها في الهواء لتنزل على حافته، وتسقط أرضًا.

لم يستمر سقوطها ثوان حتى نهضت، ولكن قبل أن تستكمل رقصها نهض الرجل وأشار إلى رجال أشداء حولها عاريي الجذوع ليأتي أحدهم ويسحبها وهي مستسلمة تمامًا.

ضربها خلف ركبتها بقدمه، فركعت على الأرض ووضع يده خلف رأسها لتنحي إلى الأمام، ولم تدري إلا وسيف بتار يهبط على عنقها ينحره!

***

صرخت لتجد نفسها في غرفة مظلمة تمامًا، وطفل صغير يبكي، تلفتت حولها، الغرفة قديمة للغاية بها بعض الألعاب التي يكسوها التراب...

الطفل يبدو أنَّه محبوس في المكان!

اقتربت منه وقالت، وهي تربت على رأسه من الخلف:

- لا تخف.

التفت برأسه، ونظر لها لتجد نظرة حزن غريبة ودموع بدأت في الانسيال.

رق قلبها، واحتضنت رأسه، وسألته:

- من الذي حبسك هنا؟

أجاب، وهو ينظر إلى الأرض، ويبكي:

- أمي!

غضبت بشدة من هذه الأم التي حبست طفلها في غرفة مظلمة قديمة وحده، لتنهض وتطرق على الباب بقوة ليأتي لها صوت امرأة في الخارج:

- لن تخرج.

زاد غضبها لتركل الباب بقوة فلم يُفتح، أخذت تركل فيه، والمرأة في الخارج تصرخ من الخوف حتى انهار الباب من وطأة الضغط عليه.

السيدة يبدو أنَّها خائفة!

تنظر إلى خلف شوق، وتتراجع بقوة وهي تقول:

- لا... لا تقتلني.

مع من تتحدث؟!

نظرت خلفها لتجد الطفل!

ليس طفل!

هناك ممصات تخرج من يده بدلًا عن أصابعه!

يفتح فمه فتظهر أسنان ضخمة للغاية، ويتضخم وجهه وكأنَّه سيبتلعها!

شل جسدها من الصدمة، تريد الهرب، ولكن قدميها لا تساعدها!

يقترب أكثر فلم تشعر إلا وهو يقفز عليها، وأخر ما تراه هو فمه الضخم يقترب بقوة من وجهها.

كادت أن تقول رائحة فمه نتنة لكن الألم أصبح رهيبًا مع صراخ الأم خلفها... الآن عرفت لماذا حبسته!

***

في هذه الأثناء، خرج طه إلى الكَفْر، وطلب من رجاله أن يذهبوا إلى القرية، ويأتوا ببعض الأهالي للعيش في المكان، هنا سيكون مكانهم الجديد بالإضافة إلى القرية.

سأله أحدهم عن أبنائه فقال أنَّهم ماتوا، وانتهى أمرهم، عليهم فقط حماية المكان جيدًا وتنظيفه من الجثث، والبدء في نقل بعض الأهالي.

يريد أن يضمن أن لا يكون هناك ثغرات تقود أي متطفل، أو دخيل إلى القرية أو الغابة، كما أن هناك خطة ما في رأسه لن تتم إلا بعد نقل بعض الأهالي إلى الكَفْر بسرعة، فغدًا يوم عيد الأضحى، ويوم الكسوف، طاقة الدم والتضحية بالأغنام والحيوانات وطاقة السعادة ويوم كسوف... إنَّه يوم سعده، وعليه استغلاله جيدًا لإتمام الخطة.

هو يخطط أن تكون المنطقة هي عاصمته الجديدة، هنا سيحضر كائنات العوالم الآخرى، ويخضعها له، وسيجهز جيوشه لغزو باقي الأبعاد، عليه تأهيه

للمكان فقط جيدًا، فالآن أبنائه في يده، وأبقى على عاصم ليكون ورقة ضغط عند الحاجة على شوق، أمَّا ابنته فهي مفتاح التضحية مع الرضيع الذي يحمل دمه.

أخيرًا وبعد سنوات سيصل إلى أوراق العودة، ويسيطر على الأرض وباقي العوالم، عليه تجهيز جيش من الرجال، ولكنَّه لن يخطئ ثانية ويأتي بطفل أو طفله من نسله، الأمر أصبح مجازفة كبيرة لا تسير كما يريد.

لعبة الموت!

الوضع يزداد جنونًا بالنسبة إلى شوق، تموت كل مرة بشكل أفظع مما سبقه!

هل ستستمر في هذا الوضع حتى يأتي والدها أم يجن جنونها؟!

قبل أن تفكر في حل، هي في تغوص في البحر!

تغوص بمعنى تتنفس!

لديها ذيل سمكة... إنَّها عروس بحر وحولها العشرات مثلها!

هناك سفينة قادمة يظهر فوقها رجال أشداء... سفينة على الطراز القديم، وتضع علم غير واضح... عامة هي لا تعرف أعلام الدول، ولكنَّه يبدو غريب!

هن يحمين كنز في هذا المكان، كنز غرق قبل مئات السنين، وواجهن العديد من الرجال الذين يحاولون الحصول عليه... مواجهة ليست قاتلة بل يشدون بألحان تنوم البحارة مغناطيسيًا، ويأمرهن بالانصراف، والعودة فقط.

بدأن الإنشاد، ولكن السفينة لا زالت تتقدم نحوهن، ينشدن ويعلو صوتهن ولا زالت تتقدم، صعدن إلى صخرة كبيرة فربما لا يسمعن جيدًا، ولكن الوضع غريب، والتقدم مستمر.

حان وقت الهرب، ولكن قبل القفز من الصخرة الضخمة المغطاة بالطحالب الخضراء والصفراء وجدن الشباك حولهن، ويرفعن إلى الأعلى!

كيف!

تعالى صوت البحارة "لقد حصلنا على الكنز"!

إنَّهن الكنز، سيأخذوهن إلى السيرك أو يبيعن للعلماء حول العالم لدراستهن مقابل الملايين!

لن يكون مصيرها كذلك.. مزقت الشبكة بغضب، وحاولت القفز ليتسمع صوت شيء ما يشق الرياح، ويصيبها في ظهرها... رمح!

اللعنة على هذه الميتات من أين يأتي بها أبوها!

خرت على الأرض، وهي تنظر للبحارة، وهم يدفعون بزميلاتها إلى غرفة في السفينة لتجد أحدهم يقترب منها، وهو يقول: لم تموت بعد... لا نريد عاهرات مصابات ثم شاهدت رمح في يده، وهو يقترب بسرعة من رأسها فأغمضت عيناها تنتظر الألم!

***

الوهم له علاقة بالموت، كلما زهقت روحها دخلت في فخ أخر، لذا عليها أن لا تموت هذه المرة مهما كان الثمن.

تجري داخل الغابة فرحة، وسعيدة، تقطف ثمرات الكريز الجميل، وتضعها في سلة تتأبطها... ترتدي فستان وردي اللون يزيدها دلالًا، وجمالًا.

عليها الذهاب إلى جدتها بسرعة؛ لتعطي لها الكريز لتصنع فطيرة ساخنة لذيذة اشتاقت لمذاقها.

تدندن ألحانًا جميلة بصوتها العذب، وهي تقترب أكثر وأكثر من البيت الخشبي الهرمي وسط البستان المليء بالورود، والأزهار التي تخلب النظر، لكم افتقدت جدتها الطيبة في هذه الساعة المنصرمة.

طرقت الباب برقة فلم تفتح الجدة، دفعت الباب لتجده مفتوحًا بالفعل لتدخل، وعلى ملامحها الجميلة ارتسم التعجب...

إنَّها نائمة... ابتسمت وهي ترى جدتها على السرير تخبئ وجهها المجعد، لتضمها من الخلف، وهي تقول برقة:

- افتقدتك يا جدتي العزيزي.

- وأنتِ يا جميلتي... كيف كان يومك؟

صوتها خشن بعض الشيء.

- مال صوتك يا جدتي؟

- مجهدة، ربما لدي بعض البرد يا صغيرتي.

لم تلاحظ من قبل أن قدم جدها بها أظافر حادة كهذا!

هناك شيء خاطئ

طرق أحد الباب فخرجت لتفتحه لتجد الصياد الطيب جارهم يقف، وفي يده فأس.

- ماذا هناك يا عمي؟

- شاهدت الذئب يدخل إلى هنا فأتيت بفأسي لأقطع رأسه، وأنقذك يا ذات الرداء الأحمر.

انتفض قلبها خوفًا... هل الذي في الفراش هو الذئب؟!

أشارت له إلى السرير لتخبره أنَّه الذئب والتفتت لتدخل، لتكشف لها المرآة نظرة غريزة أشبع بها الصياد جسدها!

الصياد أم الذئب!

الذئب أم الصياد!

أصبحت تؤمن أن المظاهر لا تدل على الشخصية، فكم من جميل الهيئة داخله سواد وكم من قميء روحه صافية!

اقترب الصياد من الفراش، والصوت أسفله ينادي:

- من الطارق يا صغيرتي؟

لا ترد، ولكنها أتت بعصا تصنع بها جدتها الفطائر لتنهال بها على رأس الصياد الذي أدار رأسه لها في ذهول، وسقط أرضًا غارقًا في دمائه!

كان الذئب بالفعل هو من أسفل الفراش... نهض وهو يشير لها أن لا تخاف.

- جدتك طلبت مني أن أنام هنا بدلًا عنها إلى حين حضورك لأنها تعد لكي مفاجأة.

تعجبت:

ما هي؟

صوت الصياد من الأسفل يقول بصوت يلفظ أنفاسه:

- طلبت مني قتل الذئب ثم قتلك.

سألت بصدمة، وهي تصرخ غير مصدقة:

- لماذا؟. هي تحبني أيها الكاذب!

- كان شرطها الوحيد للزواج مني، والعيش معها في البيت لأنه ملكك وستتوجين يومًا ولن تجد هي مأوى لها.

قبل أن ترد وجدت نفسها في غرفة مظلمة صغيرة... هل نجحت؟!

هناك جسد مسجي بجانبها على الأرض غارقًا في العرق على رأسه آثار دماء متجلطة.

عاصم!

يتمتم بكلمات غريبة، ويصرخ وكأنَّه يعاني وهو نائم، هي تعلم جيدًا ما يمر به فربما يموت الآن للمرة العاشرة مثلًا!

نهضت، ودفعت الباب الخشبي لتشد جسد شقيقها إلى الخارج.

إنَّهم في الغابة، مكان بعيد عن الكَفْر والقرية، مجرد ألواح خشبية تستند على الأشجار... هذه غرفة الوهم إذن!

حاولت إفاقة شقيقها فبدأ يتأوه، ويفتح عيناه ببطء، ويسأل:

- هل مت؟

ردت بشفقة:

- لا يا أخي، لقد نجونا.

قال بنبرة منهكة:

لقد مت عدة مرات، كلما مت استيقظ لأموت ثانية.

كادت أن تضحك لترد:

- أعلم ما حدث.

نهض بجسد متثاقل، وهو يتكأ على ذراع شوق:

- ماذا الآن؟

- عامر، وضاحي قتلهم أبي.

رسمت الصدمة ملامحها على وجه عاصم سرعان ما تحولت إلى غضب:

- قسمًا بالله سأجعله يتمنى الموت، ولا يناله.

ردت بحسم:

- سنفعل، ولكن علينا أولًا التجهيز للمعركة الأخيرة، فنحن وحدنا الآن تمامًا.

- ماذا في رأسك؟

- مساعدة خارجية.

لم يفهم، ولكنه كالعادة يثق فيها فلم يعلق.

- علينا العودة إلى القرية.

- القرية!

- نعم، أريدك أن تحصل لي على هاتف لأجري مكالمة هامة؛ لأن هاتفي القديم تدمر بعد الحادث.

- تتصلي بمن؟

- ستعرف حينها.

***

ينتظر اللواء شعراوي أيام الأعياد تحديدًا ليشعر بأن لديه أسرة كبيرة، هو إحساس افتقده على مدار الزمن بسبب عمله في الداخلية.

ترقى سريعًا، وكان نابغة، ولديه قدرة على التحليل.

اقتربت منه حفيدته لتطلب اللعب معه بابتسم لها، ووضع يده في جيبه ليُخرج لها (العيدية) ثم ربت على رأسها لتذهب لتستكمل اللعب مع أخوتها.

أمَّا هو فكان يفكر في شيء آخر.

هل ما فعله صائب، أم دفع بالرائد حسام إلى الهلاك بيديه!؟

***

حصل عاصم على هاتف من أحد الأهالي، سرق بيته تحديدًا بعد أن تسلل، وهو يغطي وجهه مستترًا بالليل.

لا يعلم أن والده علم بهروبهما وجن جنونه ثانية ويمشط المنطقة بأكملها للعثور عليهما، ولولا الوشوم على أجسادهم التي تمنعه من اقتفاء أثرهم لسقطوا بسهولة.

في الغابة أتصلت شوق برقم تحفظه جيدًا.

- نعم سيدي، الحمد لله بخير. وقعت العديد من الأحداث الطارئة غير المتوقعة والوضع يزداد حدة وصعوبة، وأريدك في خدمة حياة، أو موت بالنسبة لي.

كن جاهزًا، وسأتصل على هاتفك قريبًا لتجعله يحضر، أشكرك.

سأل عاصم بتعجب:

- من هو، وبمن تتصلين؟!

نظرت له نظرة خاوية، وهي تقول: هل تذكر راضي؟

تجهم وجه عاصم. نعم، بالتأكيد يتذكره. كيف لا يتذكر أخاهم الميت؟!

- لم يمت.

- ماذا؟ لكن السيارة!

- لم تدهسه... بل صعد إليها، تسلقها بسهولة، وكأنَّه قرد صغير ودخل إلى حقيبتها الخلفية، ولم أنتبه له إلا، والسيارة ترحل أمامي وقدمه الصغيرة تتدلى منها، من حسن الحظ أن السيارة كانت عند مخزن الغلال ولا يوجد هناك إلا بيتين فقط، ولا أحد لاحظ الأمر.

تخوفت من أن يضربني والدي كما تعود لأنِّي سمحت له باللعب في القرية بل وركب السيارة، اللعين كان يحبسنا لو كان يعاني من مغص فلك أن تتخيل عندما يعلم أن ابنه الأصغر صعد إلى سيارة، ورحلت به!

كما أن لا أخفي عليك كنت أغار منه؛ لأنه جميل ويبدو عليه الذكاء، ولهذا لم أحبه بشكل يجعلني أتمسك بوجوده.

- والجثة... الجميع شاهدها!

- بعد رحيل السيارة لم يكن في المكان بشر فأنت تعلم أنَّهم لا يحبون التواجد قرب حدود القرية بسبب أبي، وعدم الاحتكاك به، وما أنقذني هو مستودع الغلال الذي كان ملكًا لمحمدين وحصل عليه الأهالي بوضع اليد ليضعون فيه الغلال وجزء منه كان المجزر الذي يملك سيد الحلواني..

لا أعلم كيف فعلتها، ولكني سرقت قطعة كبيرة من لحم الغنم، والعظام الملقاة على الأرض وفركتهما بالأتربة، والرمال ثمَّ أهلت عليها التراب بسرعة لتختفي ملامحها، وأخذت أصرخ حتى لا يلاحظ أحد أنَّه قطعة من اللحم، وبالطبع تجمع البعض حولي، وتكفل أحد الأهالي بوضع ملائة بيضاء عليه دون التدقيق فيه لبشاعة المنظر ليتم دفنه سريعًا، وهنا انتهى الأمر بالنسبة لي.

كما أن والدك لم يكن يهمه الطفل كثيرًا بل حتى لم يلقي عليه نظرة واحدة، وإن فعل لكان علم بالحقيقة في وقتها.

- لماذا لم تخبريني؟

- لم أخبر أي شخص عن هذا، ولكننا بحاجة إليه الآن.

- الآن، بعد كل ما حدث تكشفين لي هذا!

- صدقني لم أقصد كل هذا، ولكن القدر يبدو أنَّه يحمل الكثير مما لا نتخيل، نحتاجه الآن؛ لأنه شقيقنا ويجب أن يعلم كل ما يحدث، كما أنِّي بدأت أيقن من أن وجودنا في العالم له دورًا لا يمكن لأحد سوى أبناء العاصي فعله.

- ومن الذي كنتي تتحدثين معه؟

- لواء في الشرطة أنقذت حفيدته من الموت قبل 15 عامًا، حين جاء إلى هنا لزيارة أبي، وطلب مساعدته في الترقية، شاهدني وتحدثت معه وكان طيب القلب،

ولكنه يريد النجاح المهني فقط، أما حفيدته فكانت شقية بعض الشيء وسقطت في بئر المياه الذي كان موجودًا قرب الغابة.

- البئر الذي دفناه بالرمال بعدها، وأصبح تبة كبيرة؟

- نعم.

- سقطت فيه، ولولا وجودي قربها لماتت، ربطت جسدي بحبل، وقفزت خلفها وكدت أن أغرق أنا الأخرى، ولكنِّي أخذت أصرخ لدقائق حتى حضروا ليسحبوني والفتاة تتعلق في جسدي.

- أكملي!

- كان حينها الضابط شعرواي في كمين على الطريق الصحراوي المؤدي إلى القاهرة، وحين فتش السيارة وجد أخي نائمًا، وحين سأل السائق عنه إنَّه لا يعلم من أين أتى، وكانت الصدمة بادية على وجهه، ولكنَّه قال إنَّه مر على 3 قرى لإنزال البضائع، ومن بينهم قريتنا فربما صعد إلى السيارة.

حضر حينها شعراوي للحديث مع أبي عن الطفل، وسؤاله، ولكني قابلته، وقلت له إن الطفل هو أخي ووالدي يؤمن بأنَّه نحس وملعون ويريد التخلص منه، ويعذبه وأخذت أكذب حتى رق قلبه ورحل وهو يقسم أنَّه لن يعود ثانية بالطفل أو يعلم عنه أحد شيء، وبعدها قابلته ثانية وهو يأتي لأبي، ويطلب منه مساعدة لوزير ما وحصلت على رقم هاتفه، وعلمت منه أنَّه ترقى واقترب من أن يصبح مسؤولًا عن المنطقة برمتها.

قال لي إن أخي في الحفظ والصون، ويعامله كما لو كان ابنه ووجد صديق له يريد تبني طفل ورشح له راضي، وبالفعل أتم إجراءات التبني وأصبح راضي في بيته، ودخل كلية الشرطة وأثبت قدرة قوية على التحليل والذكاء.

من حينها أتواصل مع اللواء شعراوي أول بأول لمعرفة أخبار راضي، فمهما كان هو شقيقي، ندمت بالطبع على ما حدث، ولكن قلت إن وضعه أفضل منا بكثير وهو ما تأكدت منه بعد ذلك.

وتطور الأمر، وبدأت أتصل باللواء من آن إلى آخر، وأشرح له ما يحدث معنا أول بأول وكاد أن يتدخل عدة مرات للقبض على أبي، وإنهاء الوضع ولكني طلبت منه التريث حتى لا يتحول الأمر إلى كارثة أو مذبحة تضيع فيها أرواح عديدة، فأبي لن يسمح بسهولة بانتهاء خطته.

جلس عاصم على الأرض واضعًا يده على وجهه يفكر فيما قيل!

الآن الوضع تغير، هناك طرف جديد لا يعلمون إن كان ضمن صفوفهم، أو صف والدهم.

متى سيأتي؟... طرح السؤال لترد عليه شوق:

- حين يأتي موعده، عليه أولًا أن يشعر بأن الوضع طبيعيًا، وحينها ستسير الأمور، ويكتشف الحقيقة بنفسه.

***

حكت شوق ما حدث أمام طه، وحسام منذ أن كانت طفلة، وكيف أخفت هروبه، وهو صغير، وسط نظراتهما المذهولة، وقالت إنَّها أتصلت باللواء قبل شهرين، وطلبت منه أن يجعل حسام يأتي للعمل في المنطقة، وبسبب الإجراءات تأخر النقل قليلًا، ولكن المهم أنَّه كان في المنطقة للتدخل في وقته.

وقالت إن يوم أمس وقفة عيد الأضحى مر نهاره عليهم بدون أي أحداث، أو تطورات، ولكن ليلاً وعقب آذان العشاء مباشرة أحسوا بطاقة غريبة تسري في المكان.

أتى كيان ما لا تدري ما هو لها في رؤية غريبة شاهدت فيها طه، وهو يضحي بأهالي القرية مقابل ورقة العودة الأخيرة، وأنَّه سيستغل أيام الإجازة لإخفاء الأمر. كان سيشعل النيران في القرية بأكملها،وحين يكتشف أحد ما حدث بعدها بـ3 أيام، وهي فترة الإجازة سيتهم أهالي الكَفْر الذين طلب منهم الذهاب بالعملية، وهم لديهم سلاح، ومختبئن وغالبيتهم من القتلة فلن يُكذبه أحد بل سيتم دكهم عن بكرة أبيهم وينتهي الوضع بسلام.

وخلال هذه الفترة سيكون الكسوف حل، والتضحية تمت، واستطاع الحصول على تابوت العهد وأوراق العودة ليصبح الأقوى في العالم، ويبدأ خطته في السيطرة.

حينها تحركت شوق بسرعة مع شقيقها وتحدثت مع اللواء شعراوي، وطلبت منه أن يأمر حسام بأن يأتي إلى الكَفْر أولًا، ويدعي أمامه أن هناك قتلة وسارقين، حتى يترك لهما فرصة لإخفاء أهالي القرية على الجانب الآخر وإنقاذهم، وكانت تعلم أنَّها سيقدر على تتبع الحقيقة بسبب حدسه الأمني.

راهنت على ذكائه، وحديث اللواء شعراوي عنه بأنَّه ذكي أكثر مما يبدو عليه، وهو ما حدث بالفعل، ليذهب إلى الكَفْر ثم يجد المقابر، وبعدها اتصال اللواء، والذهاب إلى القرية ثمَّ الغابة، ويربط بينهما والبيت الخشبي، خاصةً وأن والدها لن يتخيل أن الأوراق ستكون أسفل أخشاب الأرضية في بيته، فهو لا يخلعها إطلاقًا بل يضحي بقطر الدماء فقط عبر فجوات صغيرة تجعل سائل الحياة يتسلل إلى البؤرة فقط.

النهاية

تعجب حسام من كم الأحداث الصادمة التي سمعها!

هو ابن العاصي الذي يقتل أبنائه ليأتي بأوراق مزعومة يسيطر بها على العوالم!

أي هراء هذا!

لكن كيف ضحى بالأهالي؟!

أشار إلى الجالسين على الأرض ليسأل: إن كان ضحى بالأهالي فمن هؤلاء؟

ردت شوق:

- ضحى ببعضهم بالفعل، وأعتقد أنَّه قتل ابنه الرضيع، فعلها قبل أن نتدخل.

علمت أنَّه استقطب بعض الأهالي نهارًا إلى الغابة ومن حينها لم يعودوا، فشك الأهالي فيما حدث ليسود الذعر، حتى أننا عندما ظهرنا لهم أخذوا يصرخون وهاجمونا ولكننا سيطرنا على الوضع بالقوة.

حين أحرك سلسلتي السوداء بالوشوم على وجهي، وشقيقي يطلق دفعات الطاقة على الأرض يفتت الغبار يسهل السيطرة على البشر الخائفين، طلبنا منهم التجمع سريعًا وسط القرية ثم سلكنا الغابة وهم مكبلين وصعدنا بهم إلى الجبل.

تعجب حسام:

- كيف علمتم أنَّه نفذ التضحية؟!

- لأننا قبل دخولنا إلى الكفر بلحظات سمعنا تراتيل التضحية تتردد في المكان خلفنا، وبالطبع كان الأمر مخيفًا لمن في الكفر.

بالنسبة لهم أبناء العاصين قادمين، وخلفهم موسيقى يعلمون جيدًا ماذا تعني، ليهرب بعضهم بالفعل، ولكننا نجحنا في أسر الباقيين كما فعلنا في القرية.

- بدأتم بالقرية؟

- لا، بل الكفر، أنقذنا البشر هنا أولًا ثم ذهبنا سريعًا إلى القرية لإنقاذ البقية قبل أن يتحرك والدي، فنحن نعلم جيدًا أنه بعد التضحية سيبحث عن أوراق العودة في كل مكان، وحين لن يجدها سيبدأ الغضب ويواجهنا مباشرة.

أشار حسام بيده إلى الأقفاص:

- ولماذا هؤلاء؟!

- كان لابد من تكبيلهم لأن حين يعم الخوف يمحو أي تعقل، ونحن لا نريد المجازفة ووقوع معارك خاصةً وأن غالبيتهم كما قلت سابقًا قتلة ولصوص، أو محبو السحر والسيطرة، وكل هؤلاء لا تأمن لهم.

- لكنهم لم يكونوا هنا عندما جئت أول مرة!

- أنت لم تبحث في الجبل، ونحن كنا فيه، وتحديدًا في مغارة عملاقة وجدنها في المعركة الأولى مع أهالي القرية، وهي مخبأ جيد يمكنه أن يُخفي المئات، وليس العشرات.

أشار حسام إلى طه ليسأل:

- وهذا كيف توصل لكم؟

- اكتشف أننا في الجبل بسرعة؛ لأنه المكان الوحيد الذي لم يبحث عنه، فدخل وهو يقسم على قتلنا، والحصول على الأوراق، ولكنه لم يدري أنَّه التقط الطعم

لأننا وضعنا بعض التعاويذ على مداخل الجبل توقف أي قوى سحرية في المكان، ليسقط بسهولة، فهو عديم اللياقة على عكسنا، ولهذا كانت السيطرة عليه سهلة، وكبلته بالسلسلة الخاصة بي، وهي سلسلة من الطاقة الصافية تطوق قدرته وتمنعه من أي محاولات للهرب، أو تنفيذ سحر أو إلقاء تعاويذ، فهو بارع في هذا صراحة.

وبعدها نزلنا من الجبل لنستقبلك في الكَفْر، ونجدك تخرج من مستودع الغلال.

تدخل عاصم بسؤال اقتحم عقله فجأة:

- لكن التضحية بحاجة إلى روحين على الأقل من أبناء العاصي، أو التضحية بالأهالي فلماذا ضحى بابنه، والأهالي في نفس الوقت؟!

رد طه بنفاذ صبر، وهو يحاول التخلص من السلسلة حوله:

- لم أضحي بالصغير بعد، بل ضحيت ببعض الأهالي فقط، تركت الصغير في مكان ما لأني بحاجة إليه، وإلى اختك للحصول على نصف المفتاح الآخر، والحصول على تابوت العهد.

كاد حسام أن يبصق عليه، ولكنه تمالك نفسه، وقال:

- ألم يكفيك الدماء التي أرقتها أيها اللعين.

رد بغضب:

- القوة بحاجة إلى مزيد، كل شيء بحاجة إلى مزيد، أنا لا أفعل هذا لي فقط بل لكم. للجميع، للبشر الذين سيتحكمون في كل العوالم، سيكونوا الصفوة، والأقوى، قادرين على كل شيء، سنعيد عهد الأسياد.

هل تعرفون ما فعلته حتى أضحي بمن أخذتهم من أهالي القرية؟ قلت لهم إن كنز الجبل متاح الآن، والتضحية المطلوبة هي حياة من في الكَفْر، وطلبت منهم

للحصول على الكنز إعادة ترتيل الكلمات التي نفذوها منذ قبل على أطراف الغابة حتى حل عليهم الحاصد.

الملاعين كانوا سيضحون بأهل الكفر لأجل الكنز، وفي النهاية تقول لي يكفيك دماء؟!

توقف عن هراءه، وحديثه، وهو يلاحظ نظراتهم التي تتابع شيء ما يأتي من خلفه!

نظر بسرعة إلى ما ينظرون له... طفل!

الطفل الذي قابله حسام في القرية، واختفى!

نظر له طه بسخرية، وقال:

- من أنت؟ هل أنت تائه أيها الصغير العاهر؟!

أحس بطاقة غريبة تشمل جسده ثم تحدث الطفل:

- أنا إيوخ... أتيت استجابة للنداء.

نظر إلى شوق، وعاصم، وأضاف:

- نداء أبناء العاصي.

تبادلت شوق مع أخيها نظرات فرحة وسط عدم فهم واضح من حسام، وذهول تام من طه.

قالت شوق:

- عندما فقدنا الأمل في كل شيء لم يعد أمامنا إلا الاستعانة بكاتب العهد، كان عليه الحضور بنفسه؛ لأن وجود طه يهدد وجوده هو نفسه كما أننا ناديناه باسمه الذي حين يناديه به أحد يلبي... إيوخ.

هو يعلم أن الحصول على أوراق العودة كاملة، والمفتاح سيجعلان أي شخص

يتحكم فيه ليضيف بنود أو يمحيها، يسمح لعوالم بالسيطرة وأخرى لا، حينها سيسود التشتت والدمار في العوالم بسبب أصحاب النفوس المريضة مثل أبي.

الطبيعة لا يمكن لأحد السيطرة عليها فهل يتخيل أحد كيف يمكن السيطرة على عوالم غير طبيعية؟!

سأل حسام بتعجب:

- وكيف حضر؟!

- لا يحضر إلا باكتمال أوراق العهد، وتنفيذ طقوس الاستدعاء التي قمنا بها في الغابة، ونداء اسمه، كما أنَّه بالتأكيد شعر بالتهديد مما يحدث.

تحدث كاتب العهد دون أن يفتح شفتاه:

- أنا من زرتك في حلمك، وحذرتك مما سيحدث.

نظرت له بإمتنان:

- عرفت الآن.

- لم يكن بمقدوري عدم التدخل، العالم لا يتحمل المزيد من الجنون، وبعض العوالم بدأت تفنى بالفعل بسبب الشرور، لولا أن هناك قواعد ألتزم بها لأنهيت الوضع سريعًا بعد التجسد.

بعدم فهم تسائل حسام:

- التجسد!

- نعم يجب أن أتجسد في جسم شخص حي، لم أجد إلا هذا الطفل الذي كان نائمًا، فأنا لا أتجسد في من يملك وعيًا كافيًا لمنعي، ونوم هذا الفتى في هذه الفترة جعل تجسدي أسهل.

بالطبع كان هناك أجساد أخرى في المنطقة، ولكنَّهم مستيقظين، وبعضهم في

مكان عالي لا يمكن الدخول فيه بسبب تعاويذ تمنح دخول أي كيانات غريبة.

لكن التأقلم مع الجسد والحركة وانتظار تراكم المعرفة كاد يصيبني بالجنون، بل كان هناك ذكريات عديدة فقط أراها لكم، وأنتم تنادون عليَّ للحضور، كما شاهدت العاصي لأنتظر بعض الوقت حتى تمام العملية لإنقاذ الموقف.

تنهدت شوق في ارتياح، وامتقع وجه طه حتى كاد أن يسود!

لقد خسر هذه المرة للأبد، بوجود كاتب العهد، وعدم امتلاكه أوراق العودة لا يمكنه تنفيذ أي حركة، لأن إيوخ هو الأقوى فهو حارس بوابات العوالم، فهل سيعلن خسارته رغم أنَّه قدم التضحية؟!

قال موجهًا قوله إلى كاتب العهد:

- لقد قدمت التضحية، ونجحت.

- لم تنجح والقوانين واضحة، نعم، قدمت التضحية ولكن أين أوراق العودة؟

لم يرد فهو لم يجدها، ليضيف إيوخ:

- العهد كان بتقديم التضحية، والحصول على الأوراق وليس التضحية فقط، فأنت بالنسبة لي الآن مجرد شخص قدم قرابين، ولكن لم يحصل على القوى التي تجعلني أرحمه رغم أني ساعدتك كثيرًا، وتدخلت لموازنة الكفة.

ضحك طه بصوت مكتوم وقال، وهو يرفع ذراعيه إلى الأعلى مستسلمًا، ويتمتم وهو لا يسجمع كلماته بشكل مزري:

- حسن، أعترف أني خسرت واستسلم، لكن لنا جولة أخرى، ثم استدار للخروج من المكان بجسده المكبل بالسلسلة السوداء، ليتلقى ضربة أتت من لا مكان، وأطاحت به إلى الخلف.

قبل أن ينهض، وجد ما يشبه خيوط من الطاقة تتكالب على جسده، وتدفعه

إلى الأسفل ليزيح بجسده الرمال، وأبنائه ينظرون له بشفقة، فهمما كان هو والدهم وإن كان قاتلًا بلا رحمة.

أخذت خيوط الطاقة وكأنَّها تمتص جسده حتى بدأ هيكله العظمي يظهر والصراخ لا ينقطع من حنجرته، وسط توسلات بالرحمة، رد عليها كاتب العهد بصوت عميق وببطء:

- قلنا لك سابقًا إن خسرت لنا روحك، وأنت اعترفت الآن بالخسارة!

ازداد الصراخ حتى أصبح ما تبقى منه هيكل عظمي عليه غشاء رقيق من الجلد، في مشهد بشع أشاح الجميع بأنظارهم كي لا يروه وسط ذهول تام من البشر الذين تساقط بعضهم فاقدي الوعي.

نظر حسام تجاه مكان كاتب العهد فلم يجده، أتم دوره ورحل!

سأل:

- هل انتهى الأمر؟

ردت شوق بصوت مليء بالمحبة، وهي تقترب منه، وتحتضنه:

- أعتقد ذلك.

ضمها إليه، واستقبل عاصم بحضن مماثل، وهو يقول:

- ولكني متعجب من شئ ما!

- ما هو؟

- لماذا حذرتني الهياكل العظمية منكم؟

- لا أعلم أي هياكل عظمية، ولكن إن كان أحد حذرك منا فهو بالتأكيد كاتب العهد فهو كان يقول إنَّه يوازن كفة القوى.

- لكنَّه حصل على روحه الآن فكيف كان معه في نفس الصف!

- هذا العالم له قوانين صارمة تحكمه لا يمكن التلاعب فيها، فكاتب العهد اتفق مع أبي على التضحية مقابل أن تصبح أوراق العودة ملكه، ولكن إن خسر فلا شيء ينقذه، ولهذا كان يتدخل، ويخيفك لتعطي لأبي الأوراق لأنه إن حصل عليها فاز، وأصبح كاتب العهد تحت طوعه.

اعتراف أبي بالخسارة منذ قليل دون قصد جعله يخسر روحه لأن التعامل مع كاتب العهد يكون بالكلمة إن خرجت لا عودة فيها.

إيوخ كان مع أبي بحسب العهد وأدخلك في الوهم لتساعده ولا تثق فينا، وحتى تعطي لأبي الأوراق وكأنَّها هي الخلاص للأرض، ولكننا كنا أسرع منه، وأسقطنا والدنا في فخ الجبل ثم أعترف بالخسارة أمامه، وقد شارف عقله على الجنون، وهنا لا داعي ليستمر كاتب العهد في دعمه لينهي الوضع كما رأيت.

لا زال يبدو على حسام عدم الاستيعاب، ولكن المعرفة جعلته أكثر قوة.

كل ما يعلمه الآن أنَّه أحد أبناء العاصي، جسده مزيج من روح وطاقة، لديه شقيقة قوية تدعى شوق، وأخ أكبر قمحي البشرة وضخم الجثة ولائه لهم اسمه عاصم، وكَفْر منسي وقرية لم يعد فيها بشر ورضيع عليهم البحث عنه للانضمام لهم.

نظر إلى الغابة والجبل، وهو يربت على جيب بنطاله. هنا أوراق العودة ومن يملكها يقدر على حكم العوالم، والسيطرة عليها، ولهذا لن يتعجب لو كانت أنظار العوالم كلها تتجه إليه حاسدة إيَّاه متمنية لحظة واحدة للحصول على الأوراق، ولهذا من يدري فربما يدخلون ثانية في معركة ما قد تكون هي سبب وجودهم... هم أبناء العاصي!

تمت

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007